الدكتور
عبد الحليم محمود

الإمام الرباني الزاهد
عبد الله بن المبارك

١١٨ - ١٨١هـ



دار المعارف

الدكتور
عبد الحليم محمود

الإمام الرباني الزاهد
عبد الله بن المبارك

١١٨ - ١٨١ هـ



دار المعارف



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن إتبع هديه إلى يوم الدين .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [صدق الله العظيم]

(الكهف : الآية ١٠)

قال الذهبى فى تذكرة الحفاظ عن ابن المبارك:
(والله إنى لأحبه ، وأرجو الخير بحبه : لما منحه الله من التقوى ، والعبادة ، والإخلاص ، والجهاد ، وسعة العلم ، والإتقان ، والمواساة ، والفتوة ، والصفات الحميدة) .

الفصل الأول

تقدير ابن المبارك

جمع القرن الثانى للهجرة صفوة من خيار المؤمنين الذين كانوا قمة فى العلم ، وكانوا قمة فى الأخلاق الكريمة .

ولقد وحدّت السنة الشريفة بين مشاربهم ونزعاتهم .

لقد كانت دراسة السنة فى هذا العصر طابعًا يشبه أن يكون عامًا بين المثقفين ثقافة عالية ، ومن بين هؤلاء ثلاثة رجال جمع بينهم العلم وجمعت بينهم الصداقة .

أحدهم : سفيان الثورى رضى الله عنه ، وقد بلغت منزلته فى الحديث أن كان يقال له : أمير المؤمنين فى الحديث – وكان مسنده يحوى ثلاثين ألف حديث ، ومع ذلك فقد كان يقول : « ما حدثت – مما أحفظ – إلا بواحد من كل عشرة أحاديث »

وبلغت منزلته فى مكارم الأخلاق أن كان قوة يضىء السبيل للحيارى والسالكين .

ولقد ألقى بنفسه فى قوة وصدق وإخلاص فى الحرب التى تدور – وهى تدور على العصور – بين الفضيلة والرذيلة .

لقد تعرض بالنصيحة الدائمة للشعب ، وتعرض بالنصيحة الدائمة للحاكم إلى أن ضاق بنصائحه أبو جعفر المنصور – كما يضيق بالنصح كل طاغية – فنادى : « إذا رأيتم سفيان الثورى فاصلبوه » ولكن الله

سبحانه حفظه من كل سوء بسبب إخلاصه ، ومات أبو جعفر وبقى سفيان الثورى – ولقد سئل مرة ابن المبارك : مَنْ أئمة الناس ؟ فقال : سفيان وذووه .

أما الثانى : فهو الفضيل بن عياض رضى الله عنه ، محدث ثقة ، روى له أئمة الحديث من أمثال البخارى ، ومسلم رضى الله عنهما ، وقد بلغ الفضيل القمة فى الورع وفى محاسبة النفس فى الدقيق من أمرها والجليل ، بحيث يكون كل عمل من أعماله خالصًا لوجه الله تعالى .

لم يقف بباب سلطان رغبة أو رهبة ، وإنما أتاه السلطان إلى عقر داره ؛ فكان استقباله للسلطان استقبال العالم المؤمن الورع الذى يعتز بالله ويثق فيه ويخشى الله ولا يخشى أحدًا إلا الله .

وله – كصديقه سفيان الثورى – فى مجال الصلة بالسلطان حوادث ارضى فيها الله والفضيلة .

ومن تقدير ابن المبارك للفضيل ، قوله : قد جمعت علم العلماء فليس فيما جمعت أحب إلى من علم الفضيل بن عياض .

وأما ثالث هؤلاء الصفوة : فهو عبد الله بن المبارك .

ومن تقدير سفيان الثورى والفضيل بن عياض له ، ما يلى :

روى عمران بن موسى الطرسوسى قال : جاء رجل فسأله سفيان الثورى عن مسألة فقال له : من أين أنت ؟ . فقال : من أهل المشرق . قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟. قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟ قال : عبد الله بن المبارك .

قال : وهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم ، وأهل المغرب .

وعن أحمد بن عبدة ، قال كان فضيل وسفيان ومشيخة جلوسًا فى المسجد الحرام ، فطلع ابن المبارك من الثنية ، فقال : سفيان : هذا رجل أهل المشرق .

فقال فضيل : هذا رجل أهل المشرق وأهل المغرب وما بينهما .

ولا نحب أن نوازن بين هؤلاء الثلاثة ، ولا بين عبد الله بن المبارك وغيره من أفاضل عصره ، فإننا نجلهم عن أن نعقد موازنة بينهم ، فهم أهل للفضل وأهل للثناء .

وهؤلاء الأئمة وأمثالهم يجب علينا أن نوضح من سيرهم لشبابنا ما ينير الطريق المستقيم أمامهم ، إن سيرهم تضع شبابنا فى جو إسلامى من ناحية الفكر ، وفى جو إسلامى من ناحية السلوك ، وسيرى شبابنا مثلا عليا . يندُر أن يجد الإنسان ما يضارعها فى تاريخ الغرب فى ماضيه أو فى حاضره .

لقد رسم الإسلام بطابعه – وما زال – طائفةً من الناس هم المثل العليا للإنسانية : استمدو شعارهم من الجو الربانى الذى يشع من القرآن الكريم ومن السيرة النبوية الشريفة فأسلموا وجوههم لله ، واستجابوا إلى ما رسمه الإسلام من سلوك مبنى على إسلام القلب لله .

والأمة الإسلامية : أحوج ما تكون الآن إلى وضع الشباب ، بل ومنْ هم أسنُّ من الشباب ، فى الجو الإسلامى الصادق .

والوسيلة السهلة الجذابة فى ذلك إنما هى التحدث عن سيرة رجال الإسلام الصادقين أمثال مالك والشافعى وابن حنبل ، وأمثال الحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، وسفيان ، والفضيل ، وابن المبارك

والبخارى ، وعشرات غيرهم فى كل فن من فنون العلم ، وفى كل قمة من قمم الفضيلة .

ونعود إلى ابن المبارك ، وإذا كنا نمتنع عن الموازنة فإننا لا يسعنا إغفال تقدير العلماء لعبد الله بن المبارك سواء أكانوا فى عصره ، أم كانوا بعده ، وقبل أن نورد تقدير العلماء له نحب أن نقول إن الكثير من هذه التقديرات يمكن أن تقال فى أمير المؤمنين فى الحديث سفيان الثورى وفى الإمام الورع - القمة فى الورع - الفضيل بن عياض .

ونحب أن نبدأ من هذه التقديرات بما أورده حاتم الجوهرى فقال : حدثنا أسود بن سالم قال : كان ابن المبارك إمامًا يقتدى به ، كان من أثبت الناس فى السنة ، إذا رأيت رجلا يغمز ابن المبارك بشىء فاتهمه على الإسلام .

ونحب أن نقف عند هذه الكلمة ونتساءل : لماذا يتهم على الإسلام من يغمز عبد الله بن المبارك ؟ لماذا ؟ إن التعليل لذلك واضح من الجو الإسلامى كله ، إن الله سبحانه وتعالى يقول فى حديث قدسى من إخراج الإمام البخارى :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » وأولياء الله حَدَّدَ الله سبحانه صفاتهم ، إنهم :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : الآية ٦٣] .

وقد كان الإمام ابن المبارك فى القمة من الإيمان ، وفى الذروة من التقوى ، فمن غمزه فهو فى حرب من الله ، وهو إذن متهم على الإسلام - ولكن الأمر ليس خاصًا بابن المبارك ، فإن كل من غمز

وليا من أولياء الله فإنه فى حرب من الله سبحانه ، وهو بالتالى متهم على الإسلام .

إن بعض الناس يضيق بالفضيلة ذرعًا لأن نفسه أظلمت واستحبت الحياة الدنيا بشهواتها وأهوائها على الآخرة ، وهى لذلك تحب أن تلوث كل فاضل وتنتقص كل كامل ؛ ومن هنا كانت عداوة الأولياء ، وعداوة الأولياء هى عداوة لصفاتهم ، أى عداوة للإيمان وعداوة للتقوى فمن عاداهم اتهم فى إسلامه .

وتقدير آخر صادر عن علم من أعلام العلم : إنه ابن عيينة يقول : « نظرت فى أمر الصحابة ، وأمر ابن المبارك ، فما رأيت لهم عليه فضلا إلا بصحبتهم النبى ﷺ وغزوهم معه » !

إن الصحابة رضوان الله عليهم كرجال لا يفضلون ابن المبارك ، إنه كان مجاهدًا كما كانوا يجاهدون ، وكان مخلصًا كما كانوا مخلصين ، وكان عالمًا بالسنة ، وكان فاضلا .

بيد أن ابن عيينة حينما تحدث عن صحبتهم للنبى ﷺ وغزوهم قفز بهم فى الفضل قفزة هائلة تقطع الرقاب دونها ؛ لقد اقتبسوا من أنوار رسول الله ﷺ كل بحسب استعداده ، ولقد قال رسول الله ﷺ فيهم فيما رواه عمران بن حصين رضى الله عنهما وأخرجه البخارى – « خير أمتى قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وقال صلوات الله وسلامه عليه فى أبى بكر رضى الله عنه : « إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الإسلام ، ومودته » .

وقال فى عمر رضى الله عنه فيما رواه سعد بن أبى وقاص

رضى الله عنه قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ، فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يارسول الله ؛ فقال النبى ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . فقال عمر : فأنت أحق أن يهبن يارسول الله ، ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن : نعم . أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيهًا يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده مالقيك الشيطان سالكًا فجًا قط إلا سلك فجًا غير فجّك(١) .

وقال فى عثمان رضى الله عنه فيما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعًا فى بيتى كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه ، فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ؟ فقال ﷺ : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة(٢) .

وقال فى الإمام على رضى الله عنه فيما رواه عامر بن سعد بن

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الإمام مسلم .

أبي وقاص عن أبيه قال : رسول الله ﷺ لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[1] » .

وقال فيه أيضًا فيما رواه مسلمة قال : كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد ، فقال أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ ؟ فخرج عليّ فلحق بالنبي ﷺ ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية أو ليأخذن الراية غدًا رجل يحبه الله ورسوله ، أو قال : يحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، فإذا ما نحن بعلي وما نرجوه : فقالوا هذا علي ، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه[2] .

وكان منهم سيف الله ، روى البخاري عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم[3] .

وحواري رسول الله ﷺ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : إن لكل نبي حواري ، وإن حواريي الزبير بن العوام[4] .

وما من شك في أن ابن عيينة لم يكن يقصد كبار الصحابة ، ومع ذلك فإن هذه الكلمة حينما تصدر عن ابن عيينة لها وزنها الكبير ،

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

لأن ابن عيينة كان من أعلم الناس بالسنة ، وبفضل الصحابة رضوان الله عليهم .

ولعل من أسباب هذه الكلمة ما يعلمه ابن عيينة من صفات كثيرة تحلى بها ابن المبارك ، فقد روى أبو حاتم عن إسحاق ابن محمد بن إبراهيم المروزى : نعى ابن مبارك إلى سفيان بن عيينة فقال : لقد كان فقيها عالمًا عابدًا زاهدًا شيخًا شجاعًا شاعرًا .

ولقد تحدث الكثير ممن كتب عن ابن المبارك عن إمامته ، والإمامة هنا تعنى الإمامة فى العلم ، فعن العمرى يقول : ما رأيت فى دهرنا هذا أحدًا يصلح لهذا الأمر إلا رجلا أتانى إلى منزلى فأقام عندى ثلاثًا يسألنى عن غير ما يسألنى عنه أهل هذا الدهر ، فصيح اللسان ، إلا أن اللغة شرقية يكنى أبا عبد الرحمن ، معه غلام يقال له سفير ، فقلنا له : هذا عبد الله بن المبارك ، فقال : هكذا ينبغى ، إن كان معى أحد يصلح لهذا الأمر فذاك ، قال عبيد – يعنى الاقتداء بالعلم » .

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : الأئمة أربعة : سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك » .

وعن المسيب بن واضح قال : سمعت أبا إسحاق الفزارى يقول : « ابن المبارك إمام المسلمين » ، « ورأيت أبا إسحاق بين يدى ابن المبارك قاعدًا يسائله » .

وقال العمرى : ابن المبارك يصلح لهذا الأمر – فقال له رجل : أى شىء ؟ قال : الإمامة .

ولكنها أيضًا تعنى الإمامة فى الفضل ، فهو عالم ، فاضل ، كما تحدث

المؤرخون عن علمه فإنهم تحدثوا عن فضله ، بل إنهم كانوا يعدون صفاته الكثيرة المبررة لإمامته ومن ذلك :

قال الحسن بن عيسى : اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل ابن موسى ومخلد بن حسين وغيرهما فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ؛ فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصاف ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزوة ، والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام فى ما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه .

وقال الحاكم : « هو إمام عصره فى الآفاق ، وأولاهم بذلك علما وزهدًا وشجاعة وسخاء » .

وقال ابن حبان فى الثقات : كان فيه خصال لم تجتمع فى أحد من أهل العلم فى زمان فى الأرض كلها .

وعن العباس بن مصعب قال : جمع عبد الله بن المبارك ، الحديث والفقه والعربية ، وأيام الناس ، والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفراق » .

وقال إسماعيل بن عباس : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه » .

وبقى بعد ذلك التقدير العام لابن المبارك ، يقول على بن المدينى : « انتهى العلم إلى ابن المبارك ومن بعده إلى يحيى بن معين » .

ولقد سئل يحيى بن معين — الذى يقول على بن المدينى : إن العلم انتهى إليه — عن ابن المبارك ، فقال إنه : « سيد من سادات المسلمين ،

وقال أيضًا : كان عبد الله بن المبارك رحمه الله ، كيسًا متثبتًا وثقة ، وكان عالما صحيح الحديث .

وعن عبيد بن جناد أبو سعيد قال : قال لى عطاء بن مسلم : ياعبيد ؛ رأيت عبد الله بن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال مارأيت مثله ولا ترى مثله .

وقال النسائى : « لا تعلم فى عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك ولا أعلى منه ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه » .

وأما تقدير أصحاب كتب الطبقات ، فإنه موفور :

من ذلك تقدير صاحب كتاب الحلية ، قال : « ومنهم السخى الجواد ، الممهد للمعاد ، والمتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد جاد فساد وروجع فزاد ؛ ماله مشارك ، وفعله مبارك وقوله مبارك ؛ شاهانشاه ، عبد الله بن المبارك رضى الله تعالى عنه .

وقيل : « إن التصوف اعتداد لا ازدياد ؛ واستعداد وارتياد » أهـ .

وتقدير الشعراء : يقول عمار بن الحسن يمدح ابن المبارك :

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذكر الأخيار فى كل بلـدة فهم أنجـم فيهـا وأنت هلالها

وقد كان ابن المبارك صديقًا للإمام مالك ، يقول يحيى بن يحيى الأندلسى : كنا فى مجلس مالك فاستؤذن لابن المبارك ، فأذن فرأينا مالكًا تزحزح له فى مجلس ، ثم أقعده بلصقه ولم أره تزحزح لأحد فى مجلسه غيره ، فكان القارئ يقرأ على مالك فربما مر بشىء فيسأله مالك ماعندكم فى هذا ؟ فكان عبد الله يجيبه بالخفاء

ثم قام فخرج ، فأعجب مالك بأدبه ، ثم قال لنا : هذا ابن المبارك فقيه خراسان .

ونختم هذه المجموعة من الآراء فى ابن المبارك بما قال الجليلى فى الإرشاد : ابن المبارك الإمام المتفق عليه ، له من الكرامات مالا يحصى ، يقال : إنه من الأبدال .

الفصل الثانى

حياة ابن المبارك

ولكن من هو ابن المبارك ؟ لقد تحدثنا عنه عالمًا ناضجًا فكيف نشأ ؟ إنه – كما ينقل صاحب تاريخ بغداد – عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزى مولى بنى حنظلة ، وكانت أمه خوارزمية ، وكان أبوه تركيًا .

ويتحدث عمرو بن على عن سنة ميلاده فيقول : ولد عبد الله بن المبارك سنة ثمان عشرة ومائة ، وولد بمرو ، والمروزى نسبة إلى مرو ، وتعلم بمرو العلوم الإسلامية ؛ ووسائل العلوم الإسلامية .

لقد حفظ القرآن وتعلم العربية ونحوها وصرفها وبلاغتها ، وتثقف فى الفقه والحديث ، واستمر بمرو إلى أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره المبارك ، وأخذ من العلوم أساسًا قويًا ، وربما كان له فى هذه السن المبكرة شىء من الشهرة ؛ فقد كان ذا حافظة قوية لا يكاد يفلت منها شىء مما تسمع ، وفى ذلك يقص صخر وهو صديق لابن المبارك قصة حدثت له ولابن المبارك ذات يوم .

لقد كانا فى الكتاب معًا يحفظان القرآن ، وخرجا من الكتاب وأخذا فى الطريق إلى وجهتهما وبينما هما فى الطريق إذا بخطيب يخطب ووقفا ينصتان إلى الخطبة ، ولما انتهى الخطيب قال ابن المبارك : لقد حفظتها ، ويبدو أن الخطبة كانت طويلة ، وذلك أن كلمة ابن المبارك عن أنه حفظها أثارت عجب أحد السامعين فقال كالمتحدى : هاتها .

فأعادها ابن المبارك حرفًا حرفًا ، ولقد هدده أبوه يوما بأن يحرق كتبه . فكانت إجابة ابن المبارك إن كتبه فى صدره : إنه يحفظها .

بيد أن هذه الذاكرة قد تحكم فيها ابن المبارك فجعلها تقبل ما يحب وترفض ما لا يحب – إن فى العلوم الغث الكثير واللغو والخرافات ، والذاكرة مهما كانت طاقة معينة ومن الخير أن لا يهتم الإنسان إلا بالنافع المفيد من مسائل العلم ، وكان ابن المبارك يسير على هذا المبدأ .

لقد سأله أحد المحيطين به قائلا : هل اشتغلت بمزاولة حفظ الأحاديث ؟ فكان جوابه : إنى أقرأ فما راقنى نقش فى قلبى فكان محفوظا .

وفى ذلك يقول محمد بن النضر بن مساور قال : قال أبى : قلت لعبد الله – يعنى ابن المبارك – يا أبا عبد الرحمن هل تحفظ الحديث ؟ قال : فتغير لونه وقال : « ما تحفظت حديثًا قط ، إنما آخذ الكتاب فأنظر فيه ، فما أشتهيه علق بقلبى » .

كان ابن المبارك ذكيا ، وكان ذا ذاكرة قوية ، وكان مجدًا ، ومن الطبيعى أن ينال – وهو فى سن مبكرة – شيئًا من التقدير وشيئًا من الشهرة .

ويحدثنا أحمد بن سنان فيقول : بلغنى أن ابن المبارك أتى حماد بن زيد فى أول الأمر ، قال فنظر إليه فأعجبه نحوه ، فقال له : من أين أنت ؟ قال : من أهل خراسان . قال : من أى خراسان ؟ قال : من مرو ، قال : تعرف رجلا يقال له عبد الله بن المبارك ؟ قال : نعم .

قال : ما فعل ؟ .

قال : هو الذى تخاطب . قال : فسلم عليه ورحب به ، وحسن الذى بينهم .

وتمضى الأيام ، ويلتقى من جديد بحماد ، وعن ذلك يقول إسماعيل بن على بن إسماعيل : بلغنى عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد مسلمًا عليه ، فقال أصحاب الحديث لحماد بن زيد : يا أبا إسماعيل ، تسأل أبا عبد الرحمن أن يحدثنا ؟ .

فقال : يا أبا عبد الرحمن تحدثهم ، فإنهم قد سألونى ، قال : سبحان الله يا أبا إسماعيل ، أحدث وأنت حاضر ؟ قال : فقال : أقسمت لتفعلن – أو نحوه .

ومن طريف الأمر أن ابن المبارك استجاب فقال : خذوا ولم يحدثهم إلا عن حماد بن زيد .

وكان طموحا ولا يتأتى لمن كان كذلك إلا أن يضرب فى الأرض طلبا لما ينقصه من علم أو تقوى أو مال .

وغادر ابن المبارك مرو لأول مرة فى سن الثالثة والعشرين إلى العراق ، وكان ذلك سنة إحدى وأربعين ومائة .

إن بغداد إذ ذاك كانت مركز أنظار الطامحين سواء أكان طموحهم من أجل الدنيا أم من أجل الدين ، وسافر ابن المبارك إلى العراق : إلى مختلف مدنها الشهيرة – ولم يقف شغف ابن المبارك عند العراق ، بل سافر إلى أقطار أخرى وخصوصًا الحجاز .

وكان إذا خرج إلى مكة أنشد شعره :

بغض الحياة وخوف الله أخرجنى　　　وبيع نفس بما ليست له ثمنا

إنى وزنت الذى يبقى ليعدله   ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

وحينما كان يصل إلى مكة يذهب إلى الحرم ويشرب من ماء زمزم وينوى بالشرب من ماء زمزم أمرًا يرجو الله أن يحققه ، وفى ذلك يقول سويد بن سعيد : « رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم فاستقى منه شربة ، ثم استقبل الكعبة ، ثم قال : اللهم إن ابن أبى الموال ، حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « ماء زمزم لما شرب له » وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه » .

وفى أثناء هذه السياحات افتتن ابن المبارك بشخصيات هى من خيار الأمة :

لقد افتتن بالفضيل بن عياض ، وافتتن بسفيان الثورى ، وافتتن بالإمام مالك وافتتن بأبى حنيفة رضى الله عنهم .

ابن المبارك والعلم :

يقول صاحب وفيات الأعيان فى ذلك : « أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى ، مولى بنى حنظلة ، كان قد بين العلم والزهد وتفقه على سفيان الثورى ، ومالك بن أنس رضى الله عنهما وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محبًّا للخلوة ، شديد التورع ، وكذلك كان أبوه » .

ونحب أن نقف قليلا عند هذه الكلمة لصاحب وفيات الأعيان :

إنه يقول : « كان قد جمع بين العلم والزهد » :

أما عن العلم فإن أبا أسامة يقول : ما رأيت أطلب للعلم من عبد الله بن المبارك .

ويقول المؤرخون عنه إنه : « طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتبًا كثيرة في أبواب العلم ، وكان ثقة مأمونًا حجة كثير الحديث » .

ويقول الذهبي عنه أنه : دون العلم في أبواب الفقه وفي الغزو والزهد والرقائق وغير ذلك .

ويتبين الإنسان مكانته العلمية إذا نظر في قائمة الكتب التي ألفها ابن المبارك .

وإذا كان ابن المبارك قد اشتهر بالحديث ويقول فيه أبو أسامة :

« كان ابن المبارك في الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس » .

فإنه مع ذلك اشتغل بتفسير القرآن ، ويذكر صاحب « الفهرست » أن له تفسيرًا للقرآن .

ولقد اشتغل بالتاريخ ، ويذكر ابن النديم أيضًا أن له كتابًا في التاريخ وله كتابًا في « الفتاوى » .

واشتغل ابن المبارك بالفقه ، وألف فيه كتاب : (السنن في الفقه) .

ويقول ابن سعد : طلب العلم ، وروى رواية كثيرة ، وصنف كتبًا كثيرة في العلم وصنوفه ، حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم ، وقدم العراق والحجاز ، والشام ، ومصر ، واليمن وسمع علما كثيرًا ولقد تفقه – كما يقول صاحب (وفيات الأعيان) على سفيان الثوري ، ومع أن سفيان الثوري أستاذه ، فإنه كان يتمنى أن لو أتيح له أن يكون كابن المبارك سنة واحدة ؛ أو حتى ثلاثة أيام ، وهذا تقدير كريم من الأستاذ لتلميذه ، وتفقه على الإمام مالك ، وروى عنه الموطأ .

ولكنه تفقه بأبي حنيفة ، يقول صاحب النجوم الزاهرة : وأكثر الترحال في طلب العلم ، وروى عن جماعة كثيرة ، وروى عنه خلائق ، وتفقه بأبي حنيفة » .

ومن تقديرهم لمنزلته في الفقه ما يقوله محمد بن المعتمر بن سليمان : قال : قلت لأبي : يا أبت ، من فقيه العرب ؟ .

قال : سفيان الثوري ، فلما مات سفيان الثوري ، قلت لأبي : من فقيه العرب ؟ قال : « عبد الله بن المبارك » .

ويقول إبراهيم بن شماس : رأيت أفقه الناس ، وأورع الناس ، وأحفظ الناس ؛ فأما أفقه الناس فابن المبارك ، وأما أورع الناس : ففضيل بن عياض ، وأما أحفظ الناس : فوكيع بن الجراح .

خلوة ابن المبارك علمية :

ونأتي من جديد لكلمة صاحب وفيات الأعيان عن ابن المبارك ، يقول : « وكان كثير الانقطاع ، محبًا للخلوة » .

وهو في انقطاعه هذا الذي يشير إليه صاحب وفيات الأعيان ، كان دارسًا للعلم . وله في ذلك كلمات طريفة ، عن أبي داود قال : قلت لابن المبارك : من تجالس بخراسان ؟

قال : أجالس شعبة وسفيان .

قال أبو داود : يعني أنظر في كتبهما .

وعن شقيق بن إبراهيم البلخي قال : قيل لابن المبارك : إذا صليت معنا لم لا تجلس معنا ؟

قال : أذهب مع الصحابة والتابعين .

قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟

قال : أذهب أنظر فى علمى فأدرك آثارهم وأعمالهم فما أصنع معكم ! أنتم تغتابون الناس .

ومن تقديرهم له فى الجانب العلمى . ما رواه يحيى بن آدم قال : « كنت إذا طلبت الدقيق من المسائل فلم أجده فى كتب ابن المبارك ، أيست منه » .

وما رواه المعتمر بن سليمان قال : « ما رأيت مثل ابن المبارك ، تصيب عنده الشىء الذى لا تصيبه عند أحد » .

وهو نفسه كان شاعرًا بمنزلته .

عن السندى بن أبى هارون قال :

كنت أختلف مع ابن المبارك إلى المشايخ ، قال : فربما قلت له : يا أبا عبد الرحمن ، ممن نستفيد ؟

قال : « من كتبنا » .

ولابن المبارك كلمات كثيرة فى العلم ونصائح نذكر منها ما يلى :

من كلامه : « تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا » .

وكان يقول : « عجبت لطالب العلم كيف تدعوه نفسه إلى محبة الدنيا مع إيمانه بما حمل من العلم » .

وعن عبد الصمد قال : سمعت الفضيل يقول : قال ابن المبارك : أكثركم علما ينبغى أن يكون أشدكم خوفا .

وكان يقول : « من شرط العالم أن لا تخطر محبة الدنيا على باله » .

وقيل له : مَنْ سفلة الناس ؟ قال : « الذين يتعيشون بدينهم » .

وكان يقول : « إذا تعلم أحدكم من القرآن ما يقيم به صلاته فليشتغل بالعلم فإن به تعرف معانى القرآن » .

ابن المبارك عالم اتباعى :

ولقد كان ابن المبارك عالما على النسق الاتباعى ، وهذا النسق الاتباعى هو سبيل كل العلماء المحبين لرسول الله ﷺ ، والذين يستجيبون لأمر الله الذى يقول :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا[1]﴾ .

لقد اتخذ ابن المبارك رسول الله ﷺ أسوة له فى كل خطواته ، وإذا كان بعض الناس يقرأ الأحاديث الشريفة المتعلقة بالاتباع ، ويقتصر على القراءة ، فإن ابن المبارك وكثيرًا من المخلصين قد حققوها واقعيًا :

ومن حديث رسول الله ﷺ فى الاتباع : عن أبى سعيد الخدرى قال . قال رسول الله ﷺ : « من أكل طيبًا ، وعمل فى سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » قالوا . يا رسول الله ، إن هذا فى أمتك اليوم كثير ؛ قال : « وسيكون فى قوم بعدى »[2] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى حجة الوداع فقال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . فاحذروا ، إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه[3] .

---

(١) الأحزاب ٢١ .

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « الاقتصاد فى السنة أحسن من الاجتهاد فى البدعة »[1] .

وعن ابن عباس قال : خطب رسول الله ﷺ ، فقال :

إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه ، ألا إن الله قد فرض فرائض ، وسن سننا ، وحد حدودًا ، وأحل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع الدين فجعله سهلا سمحًا واسعًا ولم يجعله ضيقًا ، ألا إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث ذمة الله طلبه ، ومن نكث ذمتى خاصمته ، ومن خاصمته فَلَجْتُ عليه[2] ، ومن نكث ذمتى لم ينل شفاعتى ولم يرد علىّ الحوض[3] » .

وعن عباس بن ربيعة ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر (يعنى الأسود) ويقول : « إنى لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك »[4] فعمر يفضل الاتباع .

ولقد كان الإمام الجليل عبد الله بن عمر ، من خير من طبق الاتباع عمليا ، ومن أخباره في ذلك : عن زيد بن أسلم قال : « رأيت ابن عمر يصلى محلولا إزاره ، فسألته عن ذلك ، فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله[5] » .

(١) رواه الحاكم موقوفا وقال إسناده صحيح على شرطهما .

(٢) فلجْتُ عليه :غلبته وظهرت عليه .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٥) رواه بن خزيمة فى صحيحه ، ورواه البيهقى .

وعن مجاهد قال : كنا مع ابن عمر رحمه الله في سفر ، فمرّ بمكان فحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : « رأيت رسول الله ﷺ ، فعل هذا ففعلت[1] » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان يأتى شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن رسول الله ﷺ ، كان يفعل ذلك[2] .

وعن ابن سيرين قال : كنت مع ابن عمر رحمه الله بعرفات ، فلما كان حين راح رحت معه حتى أتى الإمام فصلى معه الأولى والعصر ، ثم وقف وأنا وأصحاب لى حتى أفاض الإمام فأفضنا معه حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين ، فأناخ وأنخنا ، ونحن نحسب أنه يريد أن يصلى ، فقال غلامه الذى يمسك راحلته : « إنه ليس يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبى ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته فهو يحب أن يقضى حاجته[3] » .

وكان ابن المبارك متبعًا لا مبتدعًا ،وكان يحذر من المبتدعين ؛ يقول إسماعيل الطوسى قال ابن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة .

وعن عبد الله بن عمر السرخسى قال :إن الحارث قال : أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ذلك ابن المبارك ، فقال : « لا كلمتك ثلاثين يوما » .

---

(١) رواه أحمد والبزار بإسناد جيد .

(٢) رواه البزار بإسناد لا بأس به .

(٣) رواه أحمد ، ورواته محتج بهم فى الصحيح .

ومن أهم الأخبار التى وردت عن ابن المبارك أنه قيل له : إن شيبان يزعم أنك مُرْجِىء .

فقال : كذب شيبان ، أنا خالفت المرجئة فى ثلاثة أشياء :

فإنهم يزعمون : أن الإيمان قول بلا عمل ، وأنا أقول هو قول وعمل .

ويزعمون : أن تارك الصلاة لا يكفر ، وأنا أقول : إنه يكفر .

ويزعمون : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وأنا أقول : إنه يزيد وينقص » .

وأمر الاتباع ليس بغريب على ابن المبارك الذى كان من شأنه ما يرويه نعيم بن حماد : « كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منحور ، أو بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه ، أو يسأله عن شىء إلا دفعه » .

وما يرويه شعيب بن شعبة : كان إذا قرأ شيئًا من كتب الوعظ كأنه بقرة منحورة من البكاء لا يجترئ أحد أن يدنو منه ولا يسأله عن شىء » .

ومن مظاهر شدة تقدير ابن المبارك لكل من يمت إلى العلم بصلة والمحافظة على من ينتسب إلى الدين ، ما رواه أبو داود الطرسوسى قال : قلت لعبد الله بن المبارك : إنا نقرأ بهذه الألحان ؟ فقال :

إنما كره لكم منها ، إنا أدركنا القراء وهم يؤتون تسمع قراءتهم ، وأنتم تدعون اليوم كما يدعى المغنون .

ومن تقدير ابن المبارك للعلم والعلماء أنه بلغه عن إسماعيل بن علية أنه قد ولى الصدقات ، فكتب إليه ابن المبارك :

يا جاعل العلم له بازيا يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعد ما كنت دواء للمجانين
أين رواياتك والقول فى لزوم أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فما هكذا زل حمار الشيخ فى الطين

وكان يقول : على العاقل أن لا يستخف بثلاثة : العلماء والسلطان والإخوان ، فإن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته . ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه . ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته .

ونختتم هذه الكلمات فى العلم بما يلى :

سئل عبد الله بن المبارك : ما ينبغى للعالم أن يتكرم عنه ؟

قال : ينبغى أن يتكرم عما حرم الله تعالى عليه ، ويرفع نفسه عن الدنيا فلا تكون منه على بال » .

ونعود إلى كلمة صاحب وفيات الأعيان ،إنه يقول : وكان شديد التورع وكذلك أبوه .

ابن المبارك والورع والزهد :

وورع ابن المبارك مشهور معروف عند الخاصة والعامة ، ومن كلامه الحكيم فى الورع :

عن عباس بن عبد الله قال : قال عبدالله بن المبارك لو أن رجلاً اتقى مائة شىء ولم يتورع عن شىء واحد لم يكن ورعًا ،ومن كان فيه خلة من الجهل كان من الجاهلين ، أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام لما قال :

﴿رَبِّ : إنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ .

فقال الله :﴿إِنِّى أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[1] .

ويقول الحسن : رأيت في منزل ابن المبارك حمامًا طائرة ، فقال ابن المبارك : كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام ، فليس ننتفع بها اليوم ، قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك .

وقال على بن الحسن بن شقيق : سمعت ابن المبارك يقول : لأن أرد درهمًا من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف حتى بلغ ستمائة ألف .

ولم يكن ورعًا فحسب ، بل كان زاهدًا أيضًا ، ومن كلماته فى الزهد ، وتقدير الزاهدين أنه كان يقول : « سلطان الزهد أعظم من سلطان الرعية ، لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا ، والزهد ينفر من الناس فيتبعوه » .

وفهمه للزهد فهم الأتقياء الصالحين إنه يقول : « دعواك الزهد لنفسك يخرجك عن الزهد »

ولقد سئل مرة : من الملوك ؟ فقال الزهاد .

خشيته :

لقد كان ورعًا ، وكان زاهدًا ، ويصحب ذلك شعور بالخشية ، هذه الخشية التى تصاحب العلماء دائما ؛ العلماء المخلصين ، ومن طريف ما يروى فى ذلك أن القاسم بن محمد قال : « كنا نسافر مع

---

(١) هود : الآية ٤٦ .

ابن المبارك فكثيرًا ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى : بأى شىء فضل هذا الرجل علينا ، حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة ، إن كان يصلى ، إنا لنصلى ، وإن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزو ، وإن كان يحج فإنا لنحج .

قال : فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت إذ أطفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج خرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج ، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ، ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت فى نفسى بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ،ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة » اهـ .

تواضعة :

ويضاف إلى كل ذلك التواضع الجم ، وفى ذلك يقول الحسن عنه : بينما هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك انتهى إلى حيث هو فيه قال عبدالله : وبه نأخذ ، فقال : من كتب هذا من قولى ؟ ، قلت : الكاتب الذى كتبه فلم يزل يحكه بيده حتى درس ثم قال ومن أنا حتى يكتب قولى .

وفى حفل الزواج الذى أقامه محمد بن النضر لولده دعى ابن المبارك فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس ، فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس .

التاجر الثرى :

ولكن ابن المبارك الذى كان ورعًا وكان زاهدًا وكان يمتلىء خشية هو ابن المبارك التاجر الكبير الثرى الضخم الثراء ، وهو فى ذلك

يقول : « لا يخرج العبد عن الزهد إمساك الدنيا ليصون بها وجهه عن سؤال الناس » .

إن ابن المبارك بهذا الثراء العريض يصحح فكرة التوكل وفكرة الزهد التي يسيء الناس - أحيانا - فهمها ، ليس التوكل تجردًا عن المال ، وليس الزهد رفضًا للثراء . وكل الذين يأخذون على الصوفية رفضهم للمال وللثراء وينتقدونهم من أجل ذلك مخطئون ، والمسألة في الواقع مرجعها تحكم المال في الشخص واستعباده له ، أو تحكم الشخص في المال وجعله وسيلة لمرضاة الله سبحانه .

إن الله سبحانه حث على اكتساب الرزق وأمر بالضرب في الأرض والمشي في مناكبها قال تعالى :

﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ[2] ﴾ .

ورسول الله ﷺ حث على العمل ، وعلى اكتساب الرزق :

عن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال

---

(١) سورة المزمل : من الآية ٢٠ .

(٢) الملك : ١٥ .

رسول الله ﷺ : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه[1] » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه[2] ».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يديه[3] » .

وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه ، وإن نبي الله دواد ﷺ كان يأكل من عمل يديه »[4] .

وحث صلوات الله وسلامه عليه ، على الابتعاد عن المسألة والسؤال :

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم[5]» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر »[6] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه البخاري .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم .

وعن أنس رضى اللهعنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ فسأله فقال النبى : « أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى . حلس – وهو نوع من الكساء – نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب – وهو قدح للشرب – نشرب فيه من الماء ، قال : ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله ﷺ : من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه فأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى وقال : اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فأتنى به ، فأتاه به فشد رسول الله ﷺ عودًا بيده ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يومًا ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا ؛ فقال رسول الله ﷺ : هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة »[1] .

– وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : « ياحكيم ،إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

قال حكيم : فقلت يا رسول الله ، والذى بعثك بالحق لا أرزأ[2] أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر رضى الله عنه ،

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) لاأرزأ : أى لا أصيب من أحد شيئًا .

يدعو حكيما ليعطيه العطاء، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضى الله عنه، دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله ، فقال : يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم أنى أعرض عليه حقه الذى قسمه الله له فى هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ أحدًا من الناس بعد النبى ﷺ حتى توفى[1] .

والمنهى عنه فى الدين الإسلامى هو أن تصرف التجارة عن ذكر الله ، أو يصرف الكسب عن ذكر الله . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

والله سبحانه وتعالى يتحدث عن :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3] .

إنهم يتاجرون ويبيعون ويشترون ، ولكن ذلك كله لا يلهيهم عن ذكر الله ، فمدحهم الله تعالى بذلك .

وذم الله سبحانه قومًا لأنهم انصرفوا عن الله ، والسبب هو جريهم وراء جمع المال وتكديسه ، يقول سبحانه :

---

(١) متفق عليه .

(٢) الجمعة : ٩ ، ١٠ .

(٣) النور : ٣٧ ، ٣٨ .

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۞ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۞ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۞ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۞ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[1] .

والجو الإسلامى كله إنما هو توجيه نحو تحقيق الصورة التى تتمثل فى قوله تعالى :

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[2] .

ويمدح رسول الله ﷺ التاجر الصدوق فيقول ما معناه : « التاجر الصدوق الأمين يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

وليس فى الإسلام حث أو توجيه إلى الفقر ، بل على العكس من ذلك فيه حث وتوجيه إلى الثراء الذى لا يلهى عن ذكر الله .

وإن من يتدبر فريضة الزكاة ، وأنها ركن من أهم أركان الإسلام وأن هذا الركن يتحدث الله سبحانه وتعالى عنه كثيرًا فى القرآن ، وأنه ركن لا يقوم بأدائه الفقراء ، وأن الفقراء ينقصهم تحقيق أحد أركان الإسلام ، إن من يتدبر ذلك يعلم يقينًا أن الإسلام يحث على اكتساب الثراء ، ويعلن أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، ويعلن أنه كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول .

وإن من يتدبر الآيات القرآنية الكثيرة ، والأحاديث النبوية المتعددة عن الصدقة ، وعن جزاء المتصدقين ، وعن مكافأة الله لهم فى الدنيا

(١) سورة التكاثر .

(٢) الحديد : من الآية ٢٣ .

وفى الآخرة ،يعلم أن الفقر فى ذاته ليس فضيلة إسلامية ، وأن الممدوح إنما هو الغنى الشاكر – خلافًا لمن ذهب إلى القول بتفضيل الفقير الصابر – وأن الفقير ليس محلا للثناء من أجل فقره .

وابن المبارك ، وهو من كبار المتابعين للسنن الإسلامية ،كان يكتسب المال الكثير من وراء تجارته ، وكان مثله مثل سيدنا عثمان ذى النورين الذى موّل جيش العسرة وحفر بئر رومة ، وقال فيه رسول الله ﷺ : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

وكان مثله كمثل سيدنا عبد الرحمن بن عوف الذى كان يتبرع بمئات الجمال وما تحمله فى سبيل الله .

كان ابن المبارك يتاجر وكان التراب يتحول فى يده إلى ذهب كما يقولون فى التاجر الناجح ، وكانت تجارة ابن المبارك نقل البضائع من مكان إلى مكان ، وكان ربحه يأتيه من فرق السعر ، وهذا النوع من التجارة يشبه ما نسميه الآن : الاستيراد والتصدير – وكان بعض الناس يرى ما يشبه التناقض بين الزهد عند ابن المبارك وعمله فى الاستيراد والتصدير :

فمن على بن الفضيل قال : سمعت أبى وهو يقول لابن المبارك – أنت تأمرنا بالزهد ، والتقلل ، والبلغة ، ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ ويرد ابن المبارك على ذلك ردًّا جميلا حكيما منطقيًا فيقول :

يا أبا على إنما أفعل ذا لأصون به وجهى ، وأكرم به عرضى ، وأستعين به على طاعة ربى ، لا أرى لله حقا إلا سارعت إليه حتى أقوم به .

فقال له الفضيل : يا بن المبارك ما أحسن ذا ، إن تم ذا ؟ .

وإذا كان بعض التجار يكنز المال ويتسم بالبخل فقد كان من خلق عبدالله بن المبارك :السخاء .

يقول العباس بن مصعب المروزى : « جمع ابن المبارك الحديث والفقه ، والعربية ، وأيام الناس والشجاعة والسخاء » .

وكان سخاؤه يشبه الأساطير وكل ما يروى عنه فى هذا الباب من الطرائف الطريفة ، يقول إسماعيل بن عياش : « ما على وجه الأرض مثل عبدالله بن المبارك ، ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها فى عبدالله بن المبارك ، ولقد حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة ، فكان يطعمهم الخبيص[1] ، وهو الدهر صائم » .

ويتحدث عن سخائه عمر بن حفص الصوفى - بمنبج - فيقول :

خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة ، فصحبه الصوفية ، فقال لهم : أنتم لكم أنفس تحتشمون أن ينفق عليكم ، ياغلام هات الطست ، فألقى على الطست منديلا ثم قال : يلقى كل رجل منكم تحت المنديل ما معه .

قال : فجعل الرجل يلقى عشرة دراهم والرجل يلقى عشرين فأنفق عليهم إلى المصيصة فلما بلغ المصيصة ، قال : هذه بلاد نفير[2] ، فنقسم ما بقى ، فجعل يعطى الرجل عشرين دينارًا ، فيقول :

---

(١) الخبيص : طعام من التمر والسمن .

(٢) بلاد نفير : بلاد حرب .

يا أبا عبدالرحمن إنما أعطيت عشرين درهما ، فيقول : وما تنكر أن يبارك الله للغازى فى نفقته ؟ ؟ .وكان فى رحلاته إلى الحج كأنه هارون الرشيد الذى تصوره ألف ليلة وليلة فى البذل والعطاء ، يقول محمد بن على بن الحسن بن شقيق : سمعت أبى قال : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو ، فيقولون :نصحبك يا أبا عبد لرحمن ؟ .

فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها فى صندوق فيقفل عليها ، ثم يكترى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلايزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام ، وأطيب الحلواء ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأجمل مروءة ، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمَرَكَ عيالك أن تشترى لهم من المدينة من طرفها ؟ فيقول كذا ، فيشترى لهم ، ثم يخرجهم إلى مكة ، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم ، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا ، فيشترى لهم ، ثم يخرجهم من مكة فلايزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو ، فإذا وصل إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم ، فإن كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وسروا ، دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبى : أخبرنى خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة ، فقدم إلى الناس خمسة وعشرين خوانًا فالوذج .

قال أبي : وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما اتجرت ؟

قال أبي : وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم .

ويقول محمد بن عيسى : كان عبدالله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل بالرقة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ، ويسمع منه الحديث ، قال : فقدم عبدالله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب ، وكان متعجلا ، فخرج في النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب ، قال فقالوا : إنه محبوس لدين ركبه .

فقال عبدالله : وكم مبلغ دينه ؟ .

فقالوا : عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال ، فدعا به ليلا ووزن له عشرة آلاف درهم ، وحلفه ألا يخبر أحدًا مادام عبد الله حيًا ، وقال :إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس ، وأدلج عبد الله ، فأخرج الفتى من الحبس .

وقيل له : عبدالله بن المبارك كان هاهنا ،وكان يذكرك ، وقد خرج ، فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين ، أو ثلاث من الرقة .

فقال : يا فتى أين كنت ؟ لم أرك في الخان ؟ .

قال : نعم يا أبا عبد الرحمن ،كنت محبوسًا بدين .

قال : فكيف كان سبب خلاصك ؟ .

قال : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس .

فقال له عبدالله : يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك ، فلم يخبر ذلك الرجل أحدًا إلا بعد وفاة عبد الله .

وكانت أكثر نفقاته على طلبة أهل السنة وعلى الصوفية ، ولقد عوتب مرة فى ذلك كما يروى حبان بن موسى قال : عوتب ابن المبارك فيم يفرق المال فى البلدان ولا يفعل فى أهل بلده ، فأجاب بهذا الرد الجميل : « إنى أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق : طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع عليهم ، وإن أغناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم » .

ويروى عن على بن الحسن بن شقيق قال : بلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولا أنت وأصحابك ما اتجرتُ .

قال : وكان ينفق على الفقراء فى كل سنة مائة الف درهم ، ومناقبه وفضائله كثيرة جدًا .

وكان رضى الله عنه : يطعم أصحابه الفالوذج والخبيص ، ويظل هو نهاره صائمًا ، وقيل له مرة : قد قل المال فقلل من صلة الناس ؟ فقال : إن كان المال قل فإن العمر قد نفد .

وكان يتحرى دائمًا أن يأكل مع الضيف ويقول : بلغنا أن طعام الضيف لا حساب عليه ، قالوا : وكانت سفرة ابن المبارك تحمل على عجلة أو عجلتين .

وقال أبو إسحاق الطالقانى : « رأيت بعيرين محملين دجاجًا مشويا لسفرة ابن المبارك » .

وقال المسيب بن واضح : كنت عند عبد الله بن المبارك جالسًا إذ كلموه فى رجل يقضى عنه سبعمائة درهم دينًا فكتب إلى وكيله إذا جاءك كتابى هذا وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف ،

فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال : أى شيء قضيتك ؟ فقال : كلموه أن يقضى عنى سبعمائة درهم دينًا ، فقال : قد أصبت فى الكتاب غلطًا ولكن اقعد موضعك حتى أجرى عليك من مالى وأبعث إلى صاحبى فأؤامره فيك ، فكتب إلى عبد الله بن المبارك : أتانى كتابك وقرأته وفهمت ماذكرت فيه وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك فى سبعمائة درهم وهاهنا سبعة آلاف فإن يكن منك غلطًا فاكتب إلى حتى أعمل على حسب ذلك ، فكتب إليه : إذا أتاك كتابى هذا وقرأته وفهمت ما فيه فادفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشر ألفًا ، فكتب إليه إن كان على هذا الفعال تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة ، فكتب إليه عبد الله بن المبارك : إن كنت وكيلى فأنفذ ما آمرك به ، وإن كنت وكيلك فتعال إلى موضعى حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرنى به .

وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : من فاجأ من أخيه المسلم فرحة غفر الله له ، فأحببت أن أفاجئه فرحة على فرحة .

وقال إسماعيل بن عياش : حدثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم .

وقال داود بن رشيد : كان ابن المبارك عند أبى الأحوص فجاء رسول فلان الهاشمى بعض الولاة . فقال : يقرئك السلام ، ويقول : يا أبا الأحوص ! هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا ، وهذه ألف درهم توسع بها عليهم فى هذا الشهر ، فقال أبو الأحوص . فعل الله به وفعل ، وقال : قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها .

قال : وانسل ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه الألف تنفقها فإني لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك وهذه من وجه أرجو أن تكون أطيب ، فقبلها .

وقال ابن كثير : إن ابن المبارك خرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة هناك ، وسار أصحابه أمامه : وتخلف هو وراءهم فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعت به إلى الدار . فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة ، فقالت . أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقى عَلَى هذه المزبلة وقد حلت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال ، فظلم وأخذ ماله وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين دينارًا تكفينا وأعطاها الباقي ، فهذا أفضل من حجنا هذا العام ثم رجع .

ونختم الحديث في ذلك بما يلي :

حدث مرة – كما يروى سلمة بن سليمان – قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي دينًا عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب ، قال له الوكيل : كم الدين الذى سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟

قال سبعمائة درهم ، فكتب إلى عبد الله . إن هذا الرجل سألك أن تقضى سبعمائة درهم ، وكتبت له سبعة آلاف درهم وقد فنيت الغلات فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات فنيت فإن العمر أيضًا قد فنى

فأوجز له ما سبق به قلمي » . وقد سبق ذكر هذه القصة مطولة ، وهكذا تسير الحياة بابن المبارك .

إنها جد في جميع جوانبها ، وعمل دائب مستمر ، وقدره الناس وأحبوه حبًّا ملك عليهم أفئدتهم ، ومن مظاهر هذا الحب ما رواه شعيب بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد أمير المؤمنين الرقة ، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : ما هذا ؟

قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : « هذا والله الملك لا ملك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بالعصا والسياط ، والشرط والأعوان » .

وما من شك فى أن صفات ابن المبارك قد هيأته لحب الناس :

كرم وشجاعة وعلم ؛ وإخلاص ، وما شئت فقل من صفات الخير .

وكان من شأنه تفخيم أصحابه ، يقول عبيد بن جناد :

مارأيت أحدًا مثل ابن المبارك إذا ذكر أصحابه فخمهم ، يقول : « وأين مثل فلان ، ثم يقول الرفيع من يرفعه الله بطاعته والوضيع من وضعه » .

ولهذا يقول عبد الرحمن بن يزيد الجهضمى قال الأوزاعى : أرأيت ابن المبارك ؟

قلت : لا ، قال : لو رأيته لقرت عينك .

ويقول محمد بن عبد العزيز بن أبى رزمة : سمعت أبى يقول : قال

لى شعبة : عرفت ابن المبارك ؟ قلت : نعم ، قال : ما قدم علينا من ناحيتكم مثله .

وفى يوم من الأيام ، انتهت الحياة بابن المبارك ، انتهت به فى شهر رمضان ، وانتهت وهو منصرف من الغزو ، وكان قد وصل إلى بلدة « هيت » فتوفى بها .

ويقول الحسن بن الربيع : شهدت موت ابن المبارك ، مات سنة إحدى وثمانين ومائة فى رمضان لعشر مضين منه ، مات سحرًا ودفناه بهيت، وسألت ابن المبارك قبل أن يموت ، قال : أنا ابن ثلاث وستين .

وهيت – كما يقول المؤرخون – بكسر الهاء ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها تاء مثناة من فوقها – مدينة على الفرات فوق الأنبار من أعمال العراق ، لكنها فى بر الشام ، والأنبار فى بر بغداد ، والفرات يفصل بينهما ، ودجلة تفصل بين الأنبار ، وبغداد ، وقبره ظاهر بها يزار .

قال الحسن بن الربيع : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة واقبل نصير ، يقول : يا أبا عبد ارحمنّ قل : لا إله إلا الله ، فقال له : يانصير ، قد ترى شدة الكلام على ، فإذا سمعتنى قلتها فلا تردها على حتى تسمعنى قد أحدثت بعدها كلاما ، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك .

ويقول أحمد بن خالد : سمعت الفريابى يقول : رأيت النبى ﷺ فى النوم ، فقلت : يا رسول الله ، ما فعل ابن المبارك ؟ فقال : ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا﴾ .

ولما بلغ هارون الرشيد موت ابن المبارك ، قال : « مات سيد العلماء » .

وقد رويت لابن المبارك كرامات كثيرة ، نذكر منها مايلى :

قال أبو وهب : مر عبد الله برجل أعمى ، فقال : أسألك بالله أن تدعو لى ، فدعا فرد الله عليه بصره وأنا أنظر .

وقال الحسن بن عيسى : كان عبد الله بن المبارك مجاب الدعوة .

الفصل الثالث

الجهاد والمجاهد

المجاهد :

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا • الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَولِيَاءَ الشَّيطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(1) .

ويقول عز وجل :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(2) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(3) .

من هذه النصوص القرآنية الكريمة نتبين أن الجهاد فى الإسلام إنما

---

(1) النساء : ٧٥-٧٦ .

(2) البقرة : ١٩٣ .

(3) البقرة : ٢٤٤ .

هو جهاد من أجل فكرة ، هذه الفكرة هي ما عبر عنه عنه سبحانه : بسبيل الله وسبيل الله هو الخير والعدل والحق ، فالقتال فى الإسلام ، إنما كان من أجل :

١ - أن يكون الدين كله لله .

٢ - وألا تكون فتنة .

٣ - ومن أجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا حول لهم ولا قوة ، الذين ينالون من عسف الطغاة وبغيهم الشر الكثير فيضرعون إلى الله سبحانه أن ينقذهم من الظلم .

٤ - ثم من أجل هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم ومن أموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وقد يتساءل إنسان : ما هو سبيل الله ؟ وكيف يكون الدين كله لله ؟ .

ومن أجل بيان سبيل الله سبحانه نذكر بعض المبادئ الإسلامية متضمنة فى قصص واقعية تصور الرشاد وطريق البغى ، تصور أولياء الله وأولياء الشيطان :

(أ) من أولى هذه القصص قصة هؤلاء الذين هاجروا بدينهم إلى الحبشة ، لم تكن هجرتهم هجرة سياحة يستمتعون فيها بشهواتهم ملبين دواعى الأهواء ، ولم تكن هجرتهم هجرة لدنيا يصيبونها ، أو امرأة ينكحونها ، وإنما هاجروا بدينهم ولدينهم ، لقد هاجروا حتى لا يفتنهم الطغاة الظالمون ، لقد هاجروا لله وللخلق الكريم ، وللمثل العليا - إنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

فلما سافروا بدينهم إلى الحبشة ، أرسل القرشيون وفدًا إلى النجاشي فيه عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص ، لرد المهاجرين إلى مكة ليعذبوهم من جديد ، ولما التقى الوفد بالنجاشي قال له عمرو بن العاص :

« إنه قد لجأ إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم : من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عينًا (أى أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم » .

فلما سمع النجاشي كلامهم رأى أن من الحكمة : ألا يسلم إليهم المهاجرين دون أن يسمع كلامهم وحجتهم ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ، فلما جاءوا قال لهم :

« ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل ؟ » .

فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب ، فقال له :

« أيها الملك ، كنا قومًا أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى بالفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف – فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا : نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ، لنوحده . ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه : من الحجارة والأوثان .

أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ؛ وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل

مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئًا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ... (وعدد عليه أمور الإسلام) .

فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ؛ ولم نشرك به شيئًا ؛ وحرمنا ما حرم علينا ؛ وأحللنا ما أحل لنا ...

فعدا علينا قومنا : فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ؛ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ؛ وحالوا بيننا وبين ديننا ؛ خرجنا إلى بلادك .

ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم بكى النجاشى ثم قال :

إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » .

ثم التفت إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص فقال لهما : « انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما » .

لقد علم النجاشى ، فور سماعه المبادئ الإسلامية :

أن هذه المبادئ حق ، وأنها آيات بينات لا يخفى صدقها على أصحاب الفطر السليمة ؛ وعلم أن ما أتى به محمد ؛ ﷺ : إنما يصدر من المنبع الذى كانت تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام .

وسبيل الله كما صوره سيدنا جعفر : توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وإقام الصلاة ، وأداء الزكاة ، والصيام ... والابتعاد عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة .

أما سبيل الشيطان فهو : عبادة الأصنام ، عبادة الشهوة ، والسيطرة ، والاستعلاء ؛ واستعباد الآخرين وإخراج الآمنين من ديارهم بغير حق .

وسبيل الشيطان : إتيان الفواحش ، وقطع الأرحام : وإساءة الجوار . وأن يأكل القوى الضعيف .

وسبيل الشيطان أيضًا : قول الزور ، وإشاعة الأكاذيب والغش بكل طرقه وأساليبه ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات .

(ب) وإذا أردنا تصويرًا آخر لسبيل الله – فى إجماله وعمومه – حسبما رآه أحد حكماء العرب – ولم يكن قد أسلم – وهو أكثم بن صيفى فإننا – تصويرًا للأمر فى واقعه – نذكر القصة التالية :

لما ظهر النبى ﷺ بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكثم ابن صيفى ابنه « حبيشًا » فأتاه بخبره ، فجمع بنى تميم ، وقال لهم – فيما قال : إن ابنى شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتانى بخبره ، وكتابه : يأمر بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان ، وترك الحلف بالنيران ، وقد حلف (عرف) ذوو الرأى منكم : أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأى ، ترك ما ينهى عنه .

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذى يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينًا ، لكان فى أخلاق الناس حسنًا » .

وسبيل الله كما رآه أكثم :

توحيد الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخذ بمحاسن الأخلاق .

وكلمة : الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جميلة جمعت فاستغرقت وشملت فعمت .

أما كلمته الرائعة حقًا السامية حقًا ، العجيبة فى صدقها وإيجازها وفصاحتها فهى قوله :

« إن الذى يدعو إليه محمد ، لو لم يكن دينًا ، لكان فى أخلاق الناس حسنًا » .

(جـ) على أن أبا سفيان قبل إسلامه ، وقد كان عدوًا لدودًا للإسلام لم يستطع أن ينكر أن محمدًا ﷺ إنما يدعو إلى :

الصلاة والزكاة والصلة (صلة الأرحام ، وصلة المؤمنين ومودتهم) والعفاف ، لقد أعلن أبو سفيان ذلك فى ملأ من الأشهاد ردًا على سؤال هرقل كما رواه الإمام البخارى رضى الله عنه .

(د) وسبيل الله هو ما رسمه الله سبحانه ، وأنزل على رسوله ﷺ ، فكان قرآنًا ، وكان سنة .

وسبيل الله بحسب القرآن الكريم والسنة الشريفة يتبلور ويتمركز فى :

١ – التوحيد فى مجال العقيدة . ٢ – الرحمة فى المجال الأخلاقى .
٣ – العدل فى مجال التشريع .

يقول سبحانه وتعالى فى العقيدة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَه أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1] .

---

(١) الأنبياء : الآية ٢٥ .

ويذكر سبحانه من شواهد ذلك على لسان سيدنا هود :

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثم تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[1] .

وعلى لسان سيدنا صالح :

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُم مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾[2] .

وعلى لسان سيدنا شعيب :

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾[3] .

ويقول عز وجل موضحًا سبيله أمرًا ونهيًا :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] .

---

(١) هود : ٥٠-٥٢ .

(٢) هود : ٦١ .

(٣) هود : ٨٤ .

(٤) النحل : ٩٠ .

ويقول الله تعالى :

﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ ، وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ ، وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

ويقول سبحانه :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيله ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .

ويجمل رسول الله ﷺ . رسالته فى قوله : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وما من شك فى أن مكارم الأخلاق :

فى الاعتقاد : التوحيد .

وفى التشريع : العدل .

---

(١) الممتحنة : ١٢ .

(٢) الأنعام : ١٥١ - ١٥٣ .

وفى الأخلاق : الرحمة .

وحينما يتحدث الرحمن الرحيم ؛ الودود القريب المجيب ، عن بواعث الرسالة الإسلامية عن حكمتها ، عن طابعها ، عن سمتها العامة ، عن سماتها الخاصة فإنه سبحانه يعلنها : رحمة .

يقول سبحانه : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] .

هذا هو سبيل الله ؛ وهذا هو جوهر الرسالة ، التى كلفت الأمة الإسلامية بالإيمان بها والتبشير بها والقيام عليها ، وتدعيمها فى الأنفس والآفاق .

* * *

والجهاد فى الإسلام ، جزء من الدين ، وسمة من سماته ، وطابع له ، فإذا ما تركته الأمة الإسلامية فقد تركت الدين ، يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن عبد الله بن عمر : « وإذا تركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم » .

وترك الجهاد إذاً يستتبع الذل ، والعودة إليه إنما هى عودة إلى الدين بعد الانحراف عنه بترك الجهاد .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق » .

ولقد سئل رسول الله ﷺ – فيما رواه الشيخان . عن أفضل الأعمال فقال : « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

ولعلنا نلمس من هذه الأحاديث الشريفة الأهمية الكبرى للجهاد في الإسلام ، وهذه الأهمية هي التي جعلت الإسلام يهتم بالصغير والكبير من شئونه .

ولقد بين الله سبحانه أهدافه وغاياته

أولا يقول الله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا . الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١) .

وبين سبحانه **ثانيًا** : أن الشجاعة لا تقصر الأجل وأن الجبن لا يطيل الأجل . وذلك أن الآجال محدودة ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢) .

وبين سبحانه **ثالثًا** : أن التفرغ للقتال لا يصرف عن الإنسان الرزق ؛ فالرزق مضمون ، قد ضمنه الله تعالى ؛ وأقسم سبحانه على ذلك ، وهذا حتى لا يغمر القلق أقطار النفس من أجل الرزق .

وبين سبحانه **رابعًا** : أن الاستئذان في التخلف عن الجهاد يتنافى مع الإيمان ، بل يتعارض معه ، بل ينتفي الإيمان عند التخلف مع القدرة ، قال تعالى :

---

(١) النساء : ٧٥ و ٧٦ .

(٢) الأعراف : من الآية ٣٤ .

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ، فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[1] .

وبين سبحانه خامسًا : أن موالاة[2] الأعداء كفر :

﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] .

أما إذا انتهى الجهاد إلى الاستشهاد . فالمصير الجنة والقرب من الله ، وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أروع وأجمل تصوير لمكانة الشهيد في الآخرة ، نكتفي منها بالآية الكريمة التي يتمنى كل مؤمن أن يكون ممن تشملهم . يقول تعالى :

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] .

---

(١) التوبة : ٤٤ و ٤٥ .
(٢) المراد بالموالاة هنا : الاتباع والمحاباة .
(٣) المجادلة : ٢٢ .
(٤) آل عمران : ١٦٩ - ١٧١ .

وآمن المسلمون بهذه الرسالة وأصبح إيمانهم بها جزءا من ذاتهم ، فاندفعوا يشرون بها بأنفسهم وأموالهم ، وتتابع الجهاد ، وكان من بين من لبوا نداء الإيمان : عبد الله بن المبارك .

وكما كان ابن المبارك فقيهًا من كبار الفقهاء : وكما كان مثله فى المحدثين مثل أمير المؤمنين فى الناس : وكما كان تاجرًا ناجحًا : ... فإنه كان مجاهدًا بطلا .

عن أبى حازم الرازى قال سمعت عبدة بن سليمان – يعنى المروزى – يقول : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ؛ ثم دعا إلى البراز فخرج إليه فطارده ساعة فطعنه فقتله ، فازدحم إليه الناس ، فكنت فيمن ازدحم إليه فإذا هو يلثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك ، فقال : وأنت يا أبا عمر ممن يشنع علينا » .

والحديث دائما يتداول عن الموازنة بين العابد والمجاهد ؛ والواقع أن المجاهد عابد من أفضل العباد ، ولقد سئل رسول الله ﷺ ؛ عن أفضل الأعمال فقال : فيما رواه الإمام البخارى – « الإيمان بالله والجهاد فى سبيله » .

ولقد مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، ذات يوم بعين ماء عذبة فأعجبته فأراد أن يقيم بجوارها يعبد الله ، ويعتزل الناس ، أراد أن يعتكف فى الجبل بجوار العين يشرب من مائها ، ويأكل من النباتات التى تنبت حولها ، ويمكث راضى النفس هادئ البال ، ثم

قال لنفسه : لن أفعل حتى أستأذن رسول الله ، وذكر لرسول الله ﷺ ، مادار بخلده ، فقال له ﷺ : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة : أغزوا في سبيل الله ، من قاتل في سبيل الله ، فواق ناقة وجبت له الجنة » .

وعلى هذا النسق يخاطب ابن المبارك بالشعر المعتكفين في المساجد للعبادة فيقول :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي[1] غبار خيل الله في	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

ولقد كان ابن المبارك منغمسًا في الجهاد إلى درجة أن كثيرًا ممن كانوا يحبون أن يستمعوا منه كانوا يذهبون إليه فيجدونه في الغزو .

يقول أبو عبد الله : ذهبت لأسمع منه فلم أدركه ، وكان قدم فخرج إلى الثغر فلم أسمع منه ، ولم أره .

---

(١) هكذا أوردت وليست تلائم الوزن ويمكن أن يوضع مكانها لا يجتمعان ، أو لا يستقيم .

ولقد ختم الله حياة ابن المبارك بالجهاد ، فإنه قد أدركته الوفاة وهو عائد من الجهاد ، يقول ابن سعد : « توفى بهيت فى شهر رمضان منصرفه من الغزو » .

وبعد وفاة ابن المبارك رآه بعضهم فيما يرى النائم ، ومن هؤلاء محمد بن الفضل بن عياض قال : « رأيت عبد الله بن المبارك فى المنام فقلت : أى الأعمال وجدت أفضل ؟ .

قال : الأمر الذى كنت فيه .

قلت : الرباط والجهاد ؟ .

قال : نعم .

قلت : وأى شىء صنع ؟ .

قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة ، وكلمتنى امرأة من أهل الجنة ، أو امرأة من الحور العين .

وعن صخر بن راشد قال : رأيت عبد الله بن المبارك فى منامى بعد موته ، فقلت :

أليس قدمت ؟ قال : بلى .

قلت : فما صنع بك ربك ؟ .

قال : غفر لى مغفرة أحاطت بكل ذنب .

قلت : فسفيان الثورى ؟ قال : بخ بخ ، ذاك ، ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] .

---

(١) النساء : من الآية ٦٩ .

ولم يكن ابن المبارك يقوم بالجهاد واقعيًا فحسب ، وإنما كان يعمل بسيفه ، ويستحث على الجهاد بلسانه ، ويكتب عنه بقلمه .

لقد ألف في الجهاد كتابًا مستقلا ، يقول عنه « حاجى خليفة » : « وهو أول مؤلف ألف فيه » .

ولقد حقق الأستاذ نزيه حماد هذا الكتاب تحقيقًا متقنًا جميلاً ، ونشرته دار النور ببيروت فى صورة حسنة .

والكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث عن الرسول ﷺ ، ومن أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، وبعض أقوال التابعين – وهذه الأحاديث والروايات منثور بعضها فى كتب الطبقات كالحلية وغيرها من الكتب التى ألفت عن ابن المبارك ، والكُتب التى ألفها ابن المبارك . ومن كتاب الجهاد نقتطف ما يلى :

روى ابن المبارك بسنده عن[1] : محمد بن يسار عن قتادة أنه تلا هذه الآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾[2] فقال : ثامنهم الله فأغلى لهم .

وعن عتبة بن عبد السلمى – وكان من أصحاب النبى ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : « القتلى ثلاثة رجال : رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ، حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل ذلك الشهيد الممتحن ، فى خيمة الله تحت عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة

---

(١) هذه الكلمة : « روى ابن المبارك بسنده » . نعتبرها صالحة لكل حديث يتلو ، ولسنا فى حاجة إلى تكرارها .

(٢) التوبة : الآية ١١١ .

النبوة ، ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل ، فتلك مصمصة[1] محت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء للخطايا وأدخل من أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب ، وبعضها أسفل من بعض ، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ، حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فذلك فى النار ، إن السيف لا يمحو النفاق » .

وعن عبد الله بن عمر قال : الناس فى الغزو جزءان : فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله والتذكير به ؛ ويجتنبون الفساد فى المسير ويواسون الصاحب ، وينفقون كرائم أموالهم ؛ فهم أشد اغتباطًا بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم ؛ وإذا كانوا فى مواطن القتل استحيوا من الله فى تلك المواطن أن يطلع على ريبة قلوبهم ؛ أو خذلان للمسلمين ؛ فإذا قدروا على الغلول ؛ طهروا منه قلوبهم وأعمالهم ، فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم ، ولا يكلم قلوبهم ، فبهم يعز الله دينه ، ويكبت عدوه .

وأما **الجزء الآخر** : فخرجوا فلم يكثروا ذكر الله ولا التذكير به ؛ ولم يجتنبوا الفساد ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون ، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مغرمًا وحزنهم به الشيطان ؛ فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع الآخر الآخر ، والخاذل والخاذل ؛ واعتصموا برءوس

---

(١) مصمصة : مصمص إناءه حرك فيه الماء لينظف ، وفى القاموس المحيط (فى الحديث المرفوع عن عتبة بن عبد الله – القتل فى سبيل الله مصمصة الذنوب أى مطهرة من دنس الخطايا ، وإنما أنث لأن القتل بمعنى الشهادة .

الجبل ، ينظرون ما يصنع الناس ؛ فإذا فتح الله للمسلمين ، كانوا أشدهم تخاطبًا بالكذب ؛ فإذا قدروا على الغلول ، اجترأوا فيه على الله ، وحدثهم الشيطان ، أنها غنيمة ؛ إن أصابهم رخاء بطروا ؛ وإن أصابهم حبس ؛ فتنهم الشيطان بالعرض ؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء ، غير أن أجسادهم مع أجسادهم ، ومسيرهم مع مسيرهم ، دنياهم وأعمالهم شتى ، حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم) .

وعن أبي هريرة يقول ، قال رسول الله ﷺ : « روحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، أو ما عليها » .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لولا أن أشق على أمتي – أو قال : على الناس – لأحببت ألا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكني لا أجد ما أحملهم عليه ، ولا يجدون ما يتحملون عليه ، ولشق عليهم أن يتخلفوا بعدي أو نحو ، ولوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد مسلم أبدًا » .

وعن أبي مصبح الحمصي قال : بينما نحن نسير بأرض الروم في صائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي ، إذ مر مالك بجابر بن عبد الله وهو يمشي يقود بغلاله فقال له مالك : أي أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله .

فقال جابر : أصلح دابتي وأستغني عن قومي ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار » ،

فأعجب مالكا قوله ، وسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت ، ناداه بأعلى صوته : أى أبا عبد الله ، اركب فقد حملك الله ، فعرف جابر الذى أراد ، فأجابه ، فرفع صوته فقال : أصلح دابتى ، وأستغنى عن قومى .

وسمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار » .

فتواثب الناس عن دابهم ، فما رأيت يومًا أكثر ماشيًا منه .

وعن أبى الأحمس ، أراه قال : بلغنى أن أبا ذر قال :

ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله ، فلقيته فقلت :

يا أبا ذر ما حدثت ؟ بلغنى عنك ما تحدث به عن رسول ﷺ ، أحببت أن أسمعه منك . قال : ما هو ؟

قلت : ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله .

قال : قلته وسمعته .

قلت : فمَن الذين يحبهم الله ؟

قال : رجل كان فى فئة أو سرية ؛ فانكشف أصحابه ، فنصب نفسه ونحره حتى قتل أو يفتح الله عليه .

ورجل كان مع قوم فى سفر ، فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا ، فقام ، فتنحى حتى أيقظ أصحابه للرحيل .

ورجل كان له جار سوء فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن .

قلت : هؤلاء يحبهم الله فمن الذين يشنؤهم ؟ قال :

التاجر الحلاف ، أو البياع الحلاف ، والبخيل المنان ، والفقير المختال . »

وعن ابن وائل قال : لما حضرت خالد بن الوليد الوفاة ، قال :

لقد طلبت القتل مظانة ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى ، وما من عمل شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بفرسي والسماء تهلنى ، منتظر الصبح حتى نغير على الكفار ثم قال : إذا أنا مت فانظروا سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله . فلما توفى ، خرج عمر على جنازته ، فذكر قوله : ما على نساء أبى الوليد أن يسفحن على خالد من دموعهن ما لم يكن نقعًا أو لقلقة .

قال ابن المختار : « النقع . التراب على الرأس . واللقلقة : الصوت » .

وعن القاسم والحكم أن حارثة بن النعمان أتى رسول الله ﷺ وهو يناجى جبريل ، فجلس ولم يسلم فقال جبريل : « يا رسول الله ، أما أن هذا لو سلم لرددنا عليه ؟ .

قال : وهل تعرفه ؟ .

قال : نعم هذا من الثمانين الذين صبروا معك يوم حنين أرزاقهم وأرزاق أولادهم على الله فى الجنة » .

وعن يحيى بن أبى كثير أن رسول الله ﷺ قال :

« من وضع رجله فى ركابه فاصلا فى سبيل الله فلدغته هامة أو وقعته دابة ، أو مات بأى حتف مات ، فهو شهيد » .

وعن أبى هريرة قال : « أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ؟ ويصوم فلا يفطر ما كان حيا ؟

فقيل له : يا أبا هريرة ، ومن يطيق هذا !

فقال : والذى نفسى بيده : إن يوم المجاهد فى سبيل الله أفضل منه » .

وعن سعيد بن أبى هلال أن سليمان بن أبان حدثه « أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه أن يخرجا جميعًا ، فذكروا ذلك للنبى ﷺ فأمرهما أن يخرج أحدهما فاستهما ، فخرج سهم سعد ، فقال أبوه : آثرنى بها يا بنى ، فقال يا أبت ، إنها الجنة ، لو كان غيرها آثرتك به – فخرج سعد مع النبى ﷺ ، فقتل يوم بدر ، ثم قتل خيثمة من العام المقبل يوم أحد » .

وعن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« من ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ .

فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله .

قال : فخرج يطوف فى القتلى حتى وجد سعدا جريحًا قد أثبت بآخر رمق .

فقال : يا سعد إن رسول الله ﷺ ، أمرنى أن أنظر له أمن الأحياء أنت ، أم فى الأموات ؟ .

قال : فإنى فى الأموات ، أبلغ رسول الله ﷺ منى السلام ، وقل له : إن سعدًا يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعدًا يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف » .

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما أراد معاوية أن يجرى الكظامة[1] ، قال : قيل من كان له قتيل فليأت قتيله - يعنى قتلى أحد - قال :

فأخرجناهم رطابا ينثنون .

قال : فأصابت المسحاة أصبع رجل منهم فانفطرت دما قال أبو سعيد الخدرى : ولا ينكر بعد هذا منكر أبدًا .

وعن جرير بن حازم قال - سمعت الحسن يقول :

لما حضر الناس باب عمر وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وتلك الشيوخ من قريش ، فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر لصهيب وبلال وأهل بدر وكان والله بدريًا وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم فقال أبو سفيان : ما رأيت كاليوم قط إنه يؤذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو : ويا له من رجل ما كان أعقله ، أيها القوم إنى والله لقد أرى الذى فى وجوهكم ، فإن كنتم غضابا على أنفسكم ، دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله سبقوكم به من الفضل فيما لا ترون . أشد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذى تنافسونهم عليه .

ثم قال : أيها القوم : إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون فلا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، وانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم شهادة ثم نفض ثوبه فلحق بالشام . فقال الحسن : صدق الله ، والله لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه .

وعن أنس بن مالك أن أبا طلحة قرأ هذه الآية : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا

---

(١) الكظامة : بالكسر فم الوادى أو مجرى الماء فى باطن الأرض .

وَثِقَالاً﴾[1] إلخ الآية ، فقال : أمرنا الله تبارك وتعالى ، واستغفرنا شيوخاً وشباناً ، جهزونى فقال بنوه : يرحمك الله قد غزوت على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر فنحن نغزو عنك الآن. فغزا البحر، فمات ، فطلبوا جزيرة يدفنونه ، فلم يقدروا عليها إلا بعد سبعة أيام وما تغير .

وعن أبى الجهم بن حذيفة العدوى ، قال : « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمى ، ومعى شنة من ماء وإناء ، فقلت :

إن كان به رماق[2] سقيته من الماء ومسحت به وجهه فإذا أنا به ينشغ[3] ، فقلت أسقيك ؟ فأشار أن نعم ، فإذا رجل يقول : آه ! فأشار ابن عمى أن انطلق إليه فإذا هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص فأتيته .

فقلت : أسقيك ؟ فسمع آخر يقول : آه ! فأشار هشام أن انطلق به إليه فجئته فإذا هو قد مات ، ثم رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، ثم أتيت ابن عمى ، فإذا هو قد مات » .

وعن موسى بن أنس قال : لما نزلت هذه الآية :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾[4] إلخ الآية ، قال :

---

(١) التوبة : الآية ٤١ .

(٢) الرمق : بقية الحياة والرماق: قليل يمسك الرمق وعلى هذا فكلمة الرمق أنسب للمعنى .

(٣) ينشغ : يشهق حتى يكاد يغشى عليه .

(٤) الحجرات : الآيتان ٢ و٣ .

فقعد ثابت بن قيس في بيته ، وقال : لا أراني إلا كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ ، فسأل عنه ، فقال رجل من القوم : إن شئت علمت لك علمه يا رسول الله فأتاه ، فوجده منكسر الوجه ، فقال : إن رسول الله ﷺ افتقدك وسأل عنك . فقال : إني كنت أرفع الصوت على رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية ، وإنه من أهل النار .

فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال ، قال موسى بن أنس : فأتاه المرة الثانية ببشارة عظيمة ، فقال له : إنك لست من أهل النار ، ولكنك من أهل الجنة .

وعن ثابت بن قيس الأنصاري قال : يا رسول الله ، لقد خشيت أن أكون قد هلكت .

قال : ولم ؟

قال : نهانا الله أن نحمد بما لم نفعل ، وأجدني أحب الحمد .

ونهانا عن الخيلاء ، وأجدني أحب الجمال .

ونهانا تبارك وتعالى أن نرفع أصواتنا فوق صوتك ، وأنا امرؤ جهير الصوت .

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا ثابت ، ألا ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا ويدخلك الله الجنة ؟ .

قال : بلى يا رسول الله . قال : فعاش حميدًا ، وقتل شهيدًا يوم مسيلمة الكذاب .

وعن عثمان بن أبي سودة ، قال : بلغنا في هذه الآية ﴿ والسَّابِقُونَ

﴿السَّابِقُونَ﴾[1] قال : أولهم رواحًا إلى المسجد ، وأولهم خروجًا فى سبيل الله عز وجل .

وعن أبى عتبة الخولانى أنه كان يومًا فى مجلس خولان فى المسجد جالسًا ، فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون ، فقال :

إنا لله وإنا إليه راجعون ، ما كنت أرى أن أبقى حتى أسمع مثل هذا أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم ؟

أولها : لقاء الله عز وجل كان أحب إليهم من الشهد .

والثانية : لم يكونوا يخافون عدوًا قلوا أو كثروا .

والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا وكانوا واثقين بالله عز وجل أن يرزقهم .

والرابعة : إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى قضى الله فيهم ما قضى .

وعن عمرو بن عتبة بن فرقد : سألت الله عز وجل ثلاثًا ، فأعطانى اثنتين وأنا أنتظر الثالثة .

سألته أن يزهدنى فى الدنيا ، فما أبالى ما أقبل منها وما أدبر .

وسألته أن يقوينى على الصلاة ، فرزقنى منها .

وسألته الشهادة ، فأنا أرجوها .

وعن العلاء بن هلال الباهلى : أن رجلا من قوم صلة قال لصلة : يا أبا الصهباء ، إنى رأيت أنى أعطيت شهادة ، وأعطيت أنت شهادتين ، فقال له صلة : خيرًا رأيت ، تستشهد وأستشهد أنا وابنى .

---

(١) الواقعة : الآية ١٠ .

قال : فلما كان يوم يزيد بن زياد ، لقيهم الترك بسجستان ، فكان أول جيش انهزم من المسلمين ذلك الجيش .

فقال صلة لابنه : يا بنى إلى أمك . فقال : يا أبت أتريد الخير لنفسك وتأمرنى بالرجعة ؟ أنت والله كنت خيرًا لأمى منى .

قال : أما إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب . فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلا راميًا حتى تفرقوا عنه وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل .

وعن معاذة امرأة صلة قالت : لما جاءها نعى زوجها وابنها وأنه قدمه بين يديه وقال لابنه تقدم فأحتسبك ، فقتل (١/٢٦) ، ثم قتل الأب . فلما جاءها نعيهما ، جاء النساء ، فقالت : « إن كنتن جئتن لتهنئتنا بما أكرمنا الله به فذلك ، وإلا فارجعن » .

وعن ثابت قال : وكان صلة يأكل يوما ، فأتاه رجل ، فقال : مات أخوك .

فقال : هيهات ، قد نعى إلى ، اجلس .

فقال الرجل : ما سبقنى إليك أحد ؟

فقال : قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[1] .

وعن جرير بن حازم قال سمعت الحسن يقول : قال رجل من أهل البادية لعمر : يا خير الناس ، يا خير الناس . فقال : ما يقول ؟ .

قيل : يقول يا خير الناس .

---

(١) الزمر : الآية ٣٠ .

قال : ويحكم ، إنى لست بخير الناس .

قال : والله يا أمير المؤمنين ، إن كنت لأراك خير الناس .

قال : أفلا أخبرك بخير الناس ؟

قال : بلى .

قال : فإن خير الناس رجل بلغه الإسلام ، وهو فى داره وأهله وماله ، فعمد إلى صرمة[1] من إبله ، فحدرها إلى دار من دور الهجرة فباعها ، فجعل ثمنها عدة فى سبيل الله عز وجل ، فجعل لا يصبح ولايمسى إلا وهو بين يدى المسلمين وبين عدوهم ، فذلك خير الناس .

قال : يا أمير المؤمنين إنى رجل من أهل البادية ، وإن لى أشغالا ، وإن لى ، وإن لى ، فأمرنى بأمر يكون لى ثقة ، وأبلغ به .

فقال : أرنى يدك فأعطاه يده .

فقال : تعبد الله عز وجل ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت وتعتمر وتسمع وتطيع ؛ وعليك بالعلانية ، وإياك والسر وعليك بكل شيء إذا ذكر أو نشر لم تستح منه ، ولم يفضحك ، وإياك وكل شيء إذا ذكر ونشر استحيت منه وفضحك .

فقال يا أمير المؤمنين : أفأعمل بهذا ، فإذا لقيت ربى عز وجل قلت أمرنى بهن عمر ؟ .

قال : خذهن ، فإذا لقيت ربك عز وجل فقل ما بدا لك .

---

(١) الصرمة : بالكسر القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنت عند رسول الله ﷺ وعنده فيض من الناس فجاء رجل ، فقال : يا رسول الله ، أى الناس خير منزلة عند الله عز وجل بعد أنبيائه وأصفيائه ؟ .

قال : المجاهد فى سبيل الله عز وجل بنفسه وماله حتى تأتيه دعوة الله عز وجل وهو على متن فرسه أو آخذ بعنانه .

قال : ثم من يا نبى الله ؟ قال فخبط بيده وقال :

امرؤ بناحية يحسن عبادة الله عز وجل ويدع الناس من شره .

قال : فأى الناس شر منزلة عند الله عز وجل ؟ .

قال : المشرك بالله .

قال : ثم؟ قال: ذو سلطان جائر، يجور عن الحق ، وقد مكن له .

عن المبارك بن فضالة عن الحسن أنه سمعه يقول فى قول الله عز وجل :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾[1] إلخ الآية ، قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ، ولا يتركوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء ، وأمرهم أن يصابروا الكفار ، وأن يرابطوا المشركين .

وعن أبى صالح الحمصى أن رسول الله ﷺ قال : « يبعث الله عز وجل يوم القيامة أقواما يمرون على الصراط كهيئة الريح ، ليس عليهم حساب ولا عذاب ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ — قال : أقوام يدركهم موتهم فى الرباط .

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

وعن أبى عمران الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة أعين لا تحرقهم النار أبدًا ، عين بكت من خشية الله ، وعين سهرت بكتاب الله ، وعين حرست فى سبيل الله عز وجل » .

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان أن رجلا قال يوم صفين :

اللهم العن أهل الشام .

فقال على : لا تسبوا أهل الشام جما غفيرًا ، فإن فيهم قوما هم كارهون لما ترون ، وإن فيهم الأبدال .

وعن أبى قلابة ، قال رسول الله ﷺ : « لا يزال فى أمتى سبعة لا يدعون الله عز وجل بشىء إلا استجيب ، بهم تنصرون ، وبهم تمطرون وحسبت أنه قال : وبهم يدفع عنكم » .

وعن مجاهد يقول : صحبت ابن عمر لأخدمه ، فكان يخدمنى .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا المهن ، فإن احتاج الرجل إلى مهنته انتفع به .

قال : وحدثنا أشياخنا أن معاوية بن أبى سفيان كان يقول : ليرفع أحدكم ثوبه وليصلحه ، فإنه لا جديد لمن لا خلق له .

وعن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم ، قال : فخرج فى الرعى فى يوم حار ، فأتاه بعض أصحابه ، فإذا هو بالغمامة تظله ، وهو نائم . فقال أبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو ألا يخبر به .

وعن بلال بن سعد عمن رأى عامر بن عبد قيس بأرض الروم على بغلة يركبها عقبة وحمل المهاجرين عقبه .

وقال بلال بن سعد وكان إذا فصل غازيا وقف يتوسم الرفاق ، فإذا رأى رفقة توافقه قال : يا هؤلاء ! إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خصال فيقولون : ما هي ؟

قال : أكون لكم خادما لا ينازعني عني أحد منكم الخدمة ، وأكون مؤذنًا لا ينازعني أحد منكم الأذان ، وأنفق فيكم بقدر طاقتي ، فإذا قالوا نعم ، انضم إليهم ، فإن نازعه أحد منهم شيئًا من ذلك ، رحل عنهم إلى غيرهم .

وعن أبي قلابة أن النبي ﷺ كان يرافق أصحابه في السفر رفقًا ، فجعلت رفقة منهم يهرفون[1] برجل منهم قالوا : يا رسول الله ، ما رأينا مثله ، إن نزل فصلاة ، وإن ارتحل فقراءة وصيام لا يفطر — فقال رسول الله ﷺ : من كان يكفيه كذا ؟

قالوا : نحن .

قال : كلكم خير منه .

وعن شرحبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب عند الله عز وجل خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله عز وجل خيرهم لجاره » .

وعن عبد الله بن عمر يقول : طوبى للغرباء الذين هم صالحون عند فساد الناس .

---

(١) قال ابن الأثير : يهرفون بصاحب لهم ، أي يمدحونه ويطنبون في الثناء عليه . (النهاية ٢٤٧/٤) .

وعن أبى بكر الصديق يقول : إن دعوة الأخ فى الله عز وجل مستجابة .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : بلغ عمر بن الخطاب رضى عنه أن أباعبيدة حصر بالشام ، وتألب عليه العدو ، فكتب إليه عمر : سلام عليكم ، أما بعد :

فإنه ما نزل بعبد مؤمن من منزلة إلا جعل الله عز وجل بعدها فرجًا ، ولن « يغلب عسر يسرين » .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

قال فكتب إليه أبو عبيدة . سلام ، أما بعد :

إن الله عز وجل يقول فى كتابه[2] : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثم يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

قال : فخرج عمر بكتابه مكانه ، فقعد على المنبر ، فقرأه على أهل المدينة ، فقال : ياأهل المدينة ! إنما يعرض بكم أبوعبيدة ، أو أن ارغبوا فى الجهاد .

وعن أبى نجيح السلمى ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

---

(١) آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) الآية ٢٠ من سورة الحديد .

« من شـاب شيبة فى سـبيل الله عز وجل كانت له نورًا يوم القيامة » .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : لولا ثلاث ، لولا أن أسير فى سبيل الله عز وجل ، أو يغبر جبينى فى السجود ، أو أقاعد قومًا ينتقون طيب الكلام كما ينتقى طيب التمر ، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله عز وجل .

وعن ابن عمر يقول : لسفرة فى سبيل الله عز وجل أفضل من خمسين حجة .

وعن مكحول ، قال قال رسول الله ﷺ : « ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ ، قالوا : بلى . قال : فاغزوا فى سبيل الله عز وجل » .

وعن عبد الله بن قيس قال : سمعت أبى يقول وهو بحضرة العدو ، قال رسول الله ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف : فقام رجل رث الهيئة ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقوله ؟قال : نعم . قال : فجاء إلى أصحابه ، فقال : أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ثم مضى بسيفه قدمًا ، يضرب به حتى قتل » .

الفصل الرابع

المحدث و الحديث

المحدث :

سبق أن كتبنا عن السنة ما يلي :

إن السنة دعوة بالحسنى إلى الرقي الأخلاقي الذي تجري وراءه الإنسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر أن يكون صدوقًا ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .

وإلى العامل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

وإلى الصانع أن يؤدي العمل كما يجب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أبا ، وإلى الأم في وضعها كأم ، وإلى الأخ في مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ،لأنه مسئول عن رعيته ، « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهي دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه لا إيمان لمن لا أمانة له ؟

وإلى الصدق ، وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا .

وإلى الرحمة : الرحمة العامة الشاملة ، وصلوات الله وسلامه عَلى من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع : فستجد فى السنة دعوة إليه بوسيلة وبأخرى ، وبثالثة .

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائمًا إلى دور الأمة الإسلامية فى الأخلاق العالمية .

إن دورها إنما هو دور الرائد فى الرعية ،وعلى الرائد دائمًا أن يكون المثل الأعلى ،والأسوة الكريمة ، والقدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ﷺ : الصورة الحية الناطقة التى طبقت – كمبادئ إنسانية ممكنة – الخلق الذى رسمه اللهوأحبه للإنسانية جمعاء ، والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة ، كان العلماء المستنيرون فى كل عصر يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التى تعبر عنها ، وكان هؤلاء العلماء – علماء السنة – يعرفون بسيماهم فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيا . بحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذى الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة . وصابرين على العمل : لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله ﷺ .

والمثل الذى نحب أن نسوقه – كصورة لهؤلاء القوم – هو : الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه ، إنه المحدث الذى حاول أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ﷺ ، فى الزاوية الأخلاقية .

وسيرة الإمام رضوان الله عليه ، مثل أعلى فى التمسك بما يراه حقًّا ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .

على أن كل من تشبع بالسنة حقًّا ، إنما هو صورة قريبة بقدر المستطاع من الإمام أحمد .

ولقد كان الإمام البخارى وغيره ممن أشربت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف دائمًا لسهام النماذج الأثيمة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير : إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر ، لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

ولقد ربت السنة رجالا ، وخصائصها التى ربت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال وأولتهم ثقتها وتقديرها .

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخارى ، وإن أمير المؤمنين فى الحديث : الإمام سفيان الثورى ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله عنهم : منارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لابد إذن من العمل على نشر السنة وإذاعتها ومحاولة الإكثار من النفوس التى تتشربها وتحققها وتتمثلها وتحياها .

لابد من نشرها وطنية .

ولابد من نشرها إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنسانى .

ولابد من نشرها دينًا .

ولابد من نشرها للثروة اللغوية .

وما من شك فى أن للسنة جوًا فكريا : فالرسول ﷺ . يتحدث عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم التى تعمل على تقويضه ، وعن عوامل البناء التى تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التى ينبغى أن تسود المجتمع الإنسانى ، وعن الأوضاع التى يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوى : فالرسول ﷺ قد أوتى جوامع الكلم ، وكلامه ﷺ أبلغ الكلام البشرى ، ونشر السنة عامل من أهم العوامل على ترقية اللغة التى يكتب بها الكتاب ، وعلى وضع الناشئين والمثقفين فى وضع أدبى ممتاز من حيث اللغة ، ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحى : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح وسمو بالأخلاق إلى درجة لا تجارى ، وصلى الله وسلم على من قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ورحم الله شوقى إذ يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك كله كان نشر السنة واجبًا دينيا ، وعملا اجتماعيا كريمًا ، وواجبًا وطنيا حتميا ، وإصلاحًا أخلاقيا ساميًا .

وهو على كل حال ضرورة وطنية ملحة فى عصر تحاول الرذيلة فيه أن تعمم الانحلال الخلقى فى كل أسرة ، وفى كل بيت ويحاول الفساد أن يأتى على مقدسات الأمة ومقوماتها . من عرض وشرف وكرامة .

ودراسة السنة هى دراسة الفن فى السنة ، أى بلاغتها وجمالها ومن أجل الأخلاق فى السنة .

ومن أجل التشريع وبيان التشريع .

وحبًا فى صاحب السنة ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى رسم بسلوكه وبقوله أسمى ما يمكن أن تصل الإنسانية إليه فى مختلف عصورها .

لقد أحب الله [illegible] مثالا أخلاقيا كريمًا رسمه سبحانه فى القرآن الكريم قولا ، فكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهى ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان المثل الأعلى فى الرحمة ، والمثل الأعلى فى الكفاح والمثل الأعلى فى الصبر ، المجاهد المتفائل ، والمثل الأعلى فى الصدق فى الإخلاص ، فى الوفاء ، فى البر فى الكرم .

ولقد وصفه اللهسبحانه وتعالى بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] ، ولا ريب فى أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ : إنما تقتدى بأعظم البشر رجولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ واليَوْمَ الآخِرَ ، وذَكَرَ

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

اللهَ كَثِيرًا﴾[1] ، وإن العمل على نشر السنة إنما هو توجيه للاقتداء بالرسول ﷺ .

وعبد الله بن المبارك واحد من هؤلاء المجاهدين فى نشر السنة ، ولقد كان مؤهلا لها بكل المؤهلات التى يستلزمها جو السنة ، ومن ذاك :

١ - الإخلاص :

يقول يحيى بن معين : ما رأيت أحدًا يحدث لله إلا ستة نفر ، منهم عبد الله بن المبارك .

وعن المسيب بن واضح يقول : سمعت ابن المبارك وقيل له : ارجل يطلب الحديث لله يشتد فى سنده ، قال : « إذا كان يطلب الحديث لله فهو أولى أن يشتد فى سنده » .

٢ - الذاكرة القوية :

يقول الحسين بن عيسى أخبرنى صخر بن المبارك قال : كنا غلمانًا فى الكتاب ، فمررت أنا وابن المبارك ورجل يخطب ، فخطب خطبة طويلة ، فلما فرغ قال لى ابن المبارك : قد حفظتها ، فسمعه رجل من القوم ، فقال : هاتها ؟ فأعادها عليهم ابن المبارك وقد حفظها .

ويقول ابن المبارك نفسه : « ما أودعت قلبى شيئًا قط فخاننى » .

ويقول نعيم بن حماد : سمعت عبدالله بن المبارك قال : قال لى أبى : لئن وجدت كتبك لأحرقتها ، قال : فقلت له : وما لى من ذلك وهى فى صدرى ؟ .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .

٣ – حب السنة :

يصور هذا الحب ما يرويه نعيم بن حماد ، يقول : كان عبدالله بن المبارك يكثر الجلوس فى بيته ، فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبى ﷺ وأصحابه ؟ .

ولقد حاول بعض الناس أن يثنيه عن الاشتغال بدراسة الحديث للناس فامتنع فترة من الزمن ولكنه لم يطق صبرًا على ذلك ، يقول الحسن بن عبدالله بن شاكر ، حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا أسامة يقول : مررت بعبدالله بن المبارك بطرسُوس وهو يحدث فقلت : ياأبا عبدالرحمن إنى لأنكر هذه الأبواب والتصنيف الذى وضعتموه ، ماهكذا أدركنا المشيخة ، قال : فأضرب عن الحديث نحوًا من عشرين يومًا ، ثم مررت به وقد احتوشوه وهو يحدث فسلمت عليه ، فقال : ياأبا أسامة شهوة الحديث .

وينصح ابن المبارك الناس بالاعتماد على السنة :

عن عبدان قال سمعت ابن المبارك يقول : ليكن الذى تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأى مايفسر لكم الحديث .

وينصح القضاة فيقول لأحدهم: «إن ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر» .

ومن حبه للسنة أنه كان يوقر الحديث توقيرًا عظيمًا ، يقول بشر بن الحارث : سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشى فقال : ليس هذا من توقير العلم ، قال بشر : فاستحسنته جدًّا » .

ومن طرائفه فى هذا الباب القصة التالية :

جاء عبد الله بن أبى العباس الطَّرسُوسى – وكان واليًا بمرو – إلى منزل عبدالله بن المبارك بالليل ومعه كاتبه والدواة والقرطاس معه ،

قال : فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه ، ثم سأله عن حديث فأبى أن يحدثه – ثلاث مرات – فقال لكاتبه : اطو قرطاسك ، ما أرى أبا عبد الرحمن يرانا أهلا أن يحدثنا ، فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار ، فقال له : يا أبا عبد لرحمن لم لم ترنا أهلا أن تحدثنا وتمشى معنا ؟ فقال : إنى أحببت أن أذل لك بدنى ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ .

ومن طرائفه فى بيان السنة فى مختلف المواقف ما يرويه حميد قال :عطس رجل عند ابن المبارك قال :فقال له ابن المبارك : إيش يقول الرجل إذا عطش ؟ قال يقول « الحمد لله . قال : فقال له ابن المبارك : يرحمك الله ، قال : فعجبنا كلنا من حسن أدبه .

ويقول على بن الحسين بن شقيق : قمت مع ابن المبارك ليلة باردة ليخرج من المسجد ، فذاكرنى عند الباب بحديث وذاكرته ، فمازال يذكرنى حتى جاء المؤذن فأذن للفجر .

٤ – **التحرى** :

عن أبى إسحاق الطالقانى قال : سألت ابن المبارك عن الرجل يصلى عن أبويه ؟ فقال : من يرويه ؟

قلت : شهاب بن خراش ، قال : ثقة .

عمن ؟ قلت : عن الحجاج بن دينار ، قال ثقة .

عمن ؟ قلت : عن النبى ﷺ قال : بين النبى ﷺ وبينه مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل .

وسئل ابن المبارك عمن تأخذ ؟ فقال : من طلب العلم لله ، وكان

فى إسناده أشد ، قد يلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة ، ويلقى الرجل غير ثقة وهو يحدث عن ثقة : ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة .

ومن أجل كل ذلك كان تقدير المحدثين له عظيما .

وقال على بن صدقة سمعت أبا أسامة يقول : ابن المبارك فى أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين فى الناس .

وقال القواريرى : لم يكن ابن مهدى يقدم عليه وعلى مالك فى الحديث أحدًا » .

وقال ابن معين : « كان كيسًا متثبتًا ثقة ، وكان عالما صحيح الحديث » .

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم :

« العجب ممن يسمع الحديث من ابن المبارك عن رجل ، ثم يأتى ذلك الرجل حتى يحدثه به » .

وقال أحمد : « لم يكن فى زمانه أطلب للعلم منه ، جمع أمرًا عظيما ، ما كان أحد أقل سقطًا منه ، كان رجلا صاحب حديث حافظًا وكأنه يحدث من كتاب » .

حدثنا عبد الرحمن بن يوسف بن خراش قال : « عبدالله بن المبارك مروزى ثقة » .

حدثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلى حدثنى أبى قال : عبدالله بن المبارك خرسانى ثقة ، ثبت فى الحديث ، رجل صالح .

عن فضالة النوسى ، قال : كنت أجالس أصحاب الحديث بالكوفة ،

وكانوا إذا تشاجروا فى حديث قالوا : « مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله ، يعنون عبدالله بن المبارك » .

ولقد استفاض المؤرخون فى ذكر من أخذ ابن المبارك عنهم ، وفى ذكر من أخذوا عنه ، ونحن هنا نقتصر على ما أورده فى ذلك الخطيب البغدادى :

سمع هشام بن عروة ، وإسماعيل ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وموسى بن عقبة ، وسعيد الجريرى ، ومعمر بن راشد ، وابن جريج وابن أبى ذئب ، ومالك بن أنس ، وسفيان الثورى ، وشعبة والأوزاعى والليث بن سعد ، ويونس بن يزيد ، وإبراهيم بن سعد ، وزهير بن معاوية ، وأبا عوانة .

ثم يقول : وكان من الربانيين فى العلم ، الموصوفين بالحفظ ، ومن المذكورين بالزهد .

أما الذين أخذوا عنه فمنهم : داود بن عبد الرحمن العطار ، وسفيان بن عيينة ، وأبو إسحاق الفزارى ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، وعبدالله بن وهب ، ويحيى بن آدم ، وعبد الرازق بن همام ، وأبو أسامة ، ومكى بن إبراهيم ، وموسى بن إسماعيل ، ومسلم بن إبراهيم ، وعبدان بن عثمان ، ويعمر بن بشر ، وأبو النضر هاشم بن القاسم ، ويحيى بن معين ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، والحسن بن الربيع البوارنى ، والحسن بن عرفة ، ويعقوب الدورقى ، وإبراهيم بن مجشر ، وغيرهم .

ثم يقول الخطيب البغدادى : « قدم عبدالله بغداد غير مرة وحدث بها » .

ويقول الذهبى : حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم فإنه من صباه ما كف عن السفر ، وقال وهو يذكر من أخذ عنهم ، حتى إنه كتب عمن هو أصغر منه .

ويختم بيان شعور ابن المبارك نحو السنة بأنه قيل له :

إلى متى نكتب هذا الحديث ؟

فقال . لعل الكلمة التى انتفع بها ما كتبتها بعد .

وكتب ابن المبارك تسير على نسق التأليف فى عصره ، فهى أحاديث عن الرسول ﷺ وروايات عن الصحابة والتابعين وكلمات يسيرة نادرة من المؤلف هنا أو هناك .

وبين أيدينا لابن المبارك كتاب الجهاد ، وقد أوردنا خلاصة كافية عنه - وكتاب الزهد والرقائق وبه ٢٠٦٣ ألفان وثلاثة وستون حديثاً ، ورواية عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وقد حققه وعلق عليه الأستاذ المحدث المحقق الشيخ حبيب الأعظمى .

وقد بذل المحقق فيه جهدًا مشكورًا حتى أخرجه فى صورة دقيقة وفى طبعة أنيقة ، فجزاه الله خير الجزاء .

وقد جمعنا قطعة صالحة من أحاديث ابن المبارك ورواياته من كتاب الحلية ومن غيره ، واعتمدنا فى الكثير منها على كتاب الزهد والرقائق ونسقناها أبوابا لتسهل الإفادة منها ، وهى أحاديث وروايات متناسقة مع الروح العامة لابن المبارك فى صلاحه وتقواه ، وفى تعبده وتنسكه ، وفى روعه وزهده ، وفيما يلى الأحاديث التى جمعناها :

القرآن

روى ابن المبارك بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين .

أبى الأحوص عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن .

ابن عباس قال : ما يمنع أحدكم إذا رجع من سوقه أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن فيكون له بكل حرف عشر حسنات .

عبد الله قال : اقرءوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول ألم حرف ، ولكن الألف حرف ، واللام حرف ، والميم حرف .

أبى هريرة قال : البيت يتلى فيه كتاب الله كثر خيره ، وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لم يتل فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين ، وخرجت منه الملائكة .

عن الحسن أنه بلغه أن النبى ﷺ كان يقول : ألا إن أصفر البيوت من الخير بيت صفر من كتاب الله ، والذى نفس محمد بيده إن الشيطان ليخرج من البيت أن يسمع سورة البقرة فيه .

سهل بن سعد الساعدى قال : بينا نحن نقترئ إذ خرج علينا

الرسول ﷺ فقال الحمد الله ، كتاب الله واحد ، وفيكم الأخيار ، فيكم الأحمر والأسود ، اقرءوا ، اقرءوا ، اقرءوا قبل أن يأتى أقوام يقرءون يقيمون حروفه كما يقام السهم ، لا يجاوز تراقيهم ، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدًا من خلق الله أعطى أفضل مما أعطى فقد حقر ما عظم الله ، وعظم ما حقر الله ، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل ولا يجد فيمن يجد ولأن يعفو أو يصفح .

عمرو بن مرة قال : سمعت مجاهدًا يقول : القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة ، فيقول يارب جعلتنى فى جوفه فأسهرت ليله ومنعت جسده من شهوته ولكل عامل من عماله ، فيوقف له عز وجل ، فيقول ابسط يدك ، فتملأ من رضوان الله ، فلا يسخط عليه بعدها ابدًا ، ويقال له اقرأ وأرقه ، فيرفع بكل آية درجة ، ويزاد بكل آية درجة .

موسى بن على بن رباح قال : سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : إنما الحسد فى اثنتين : القرآن يعلمه الله الرجل ليقرأه ويعمل بما فيه فيقول الرجل لوددت أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانا ، ورجل آتاه الله مالاً فيصل به رحمه ويضعه فى حقه ، فيقول الرجل لوددت أن الله أعطانى مثل ما أعطى فلانًا ، وأربع خلال إذا أعطيتهن لم يضرك ما عزل عنك من الدنيا : حسن خليقة ، وعفاف طعمة ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

الزهرى قال : بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل .

الأشعرى قال : إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه ، ولا الجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط .

يحيى بن أبى كثير قال : بينا أسيد بن حضير يصلى ذات ليلة إذ غشيته سحابة فيها مثل المصابيح ، قال والمرأة نائمة إلى جنبه وهى حامل والفرس مربوط فى الدار ، فخشيت أن ينفر الفرس فتفزع المرأة فتلقى ولدها ، فانصرفت من صلاتى ، ثم ذكرت ذلك للنبى ﷺ حين أصبحت ، قال : اقرأ أسيد ، وإن ذلك ملك يستمع القرآن .

حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ فيعلمه السنة كما يعلمه القرآن .

الحسن قال : من أحب أن يعلم ما هو فليعرض نفسه على القرآن .

محمد بن حجارة قال : كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن من الليل أن يختموه فى الركعتين اللتين بعد المغرب ، وإذا ختموه من النهار أن يختموه فى الركعتين اللتين قبل صلاة الفجر .

أبى سعيد الخدرى قال : اقرءوا القرآن تسألون الله به قبل أن يقرأه أقوام يسألون به الناس ، سيقرأ القرآن ثلاثة رجال : رجل يباهى به الناس ، ورجل يستأكل به الناس ، وقارئ : يقرأه لله .

عن أبى الورد القشيرى أن أبا محمد الحضرمى حدثه ببيت المقدس قال : حدثنا كعب فى هذا البيت أنه وجد فى كتاب المنزل أنه ليس من عبد مؤمن أو مؤمنة يجيء يوم القيامة ومعه البقرة وآل عمران إلا وهما تظلانه عن يمينه وشماله يقولان : ربنا لا سبيل عليه .

معمر بن أبى حمزة الضبعى أنه أخبره قال قلت لابن عباس : إنى رجل فى قراءتى وكلامى عجلة ، فقال ابن عباس : لأن أقرأ البقرة أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله .

أبى نضرة قال : كنا عند عمران بن حصين قال : فجعل يحدثنا قال : فقال رجل : حدثنا من كتاب الله قال : فغضب عمران فقال : إنك أحمق ! ذكر الله الزكاة فى كتابه ، فأين من المئتين خمسة ؟ ذكر الله الصلاة فى كتابه ، فأين الظهر أربعًا حتى ذكر الصلوات . ذكر الله الطواف فى كتابه ، فأين الطواف بالبيت سبعًا ؟ وبالصفا والمروة سبعًا ؟ إنا نحكم ما هناك وتفسره السنة .

يحيى بن أبى كثير قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله كره لكم ثلاثًا : اللغو عند القرآن ، ورفع الصوت فى الدعاء ، والتخصر فى الصلاة .

عبد الله بن مسعود قال : ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ، ولكن بإقامة حدوده .

عون ومعن أن رجلا أتى عبد الله بن مسعود فقال : اعهد إلى ، فقال : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه .

مجاهد فى قول الله عز وجل : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[1] قال يعملون به حق عمل به .

---

(١) البقرة : آية ١٢١ .

عطاء بن رباح في قول الله تعالى : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[1] قال: أما والله ما هو بالطيب ، ولكنه من الذنب.

ابن عباس في قوله : ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[2] ، قال الكتاب والسنة .

عبد الله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾[3] وأنت حريص شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر .

عبد الله : أنه قال في هذه الآية : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[4] قال حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى .

أم الدرداء أنه أغمي على أبي الدرداء فأفاق فإذا بلال ابنه عنده ، فقال قم فاخرج عني ، ثم قال : من يعمل لمثل مضجعي هذا ، من يعمل لمثل ساعتي هذه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[5] أبيتم . ثم أغمى عليه فلبث لبثاً ثم يفيق فيقول مثل ذلك فلم يزل يرددها حتى قبض .

ابن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ اقرأ علي قلت أقرأ وعليك أنزل ؟ قال إني أحب أن أسمعه من غيري . قال : فافتتحت سورة

---

(١) البقرة : آية ١٢٥ .
(٢) البقرة : آية ١٢٩ .
(٣) البقرة آية ١٧٧ .
(٤) آل عمران : ١٠٢ .
(٥) الانعام : آية ١١٠ .

النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1] رأيت عينيه تذرفان فقال لى حسبك .

أبى هريرة ، قول الله سبحانه وتعالى : ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2] قال : قال النبى ﷺ هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى .

ابن عياش فى قول الله تعالى : ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[3] قال حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر عنهما صلاحًا .

محمد بن المنكدر قال : إن الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه فى دويرته والدويرات التى حوله مادام فيهم .

شقيق بن سلمة أنه تلا هذه الآية : ﴿إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[4] قال لقد علمت أن التقى ذو نهية .

عن الضحاك فى قول الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[5] .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[6] وقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

---

(١) النساء آية ٤١ .

(٢) الإسراء : آية ٧٩ .

(٣) الكهف : آية ٨٢ .

(٤) مريم : آية ١٨ .

(٥) مريم : آية ٦٢ .

(٦) المؤمنون : آية ٥١ .

﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1] وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، فأنى يستجاب لذلك .

الحسن في قول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾[2] قال يعطون ما أعطوا ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[3] قال يعملون ماعملوا من أعمال البر وهم يخشون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم عز وجل .

عبد الله بن مسعود قال : لا ينتصف النهار من ذلك اليوم حتى يقيل هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ، ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[4] ثم قرأ : ﴿ثُمَّ إِنَّ مَقِيلَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[5] .

فضالة بن عبيد يقول : لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلي من الدنيا وما فيها ، لأن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[6] .

ربيع بن خيثم لجليس له : أيسرك أن تؤتى بصحيفة من النبي ﷺ

---

(١) البقرة : آية ١٧٢ .
(٢) المؤمنون : آية ٦٠ .
(٣) المؤمنون : آية ٦٠ .
(٤) الفرقان آية ٢٤ .
(٥) الصافات آية ٦٨ ، وهي قراءة ابن مسعود كما في الطبري (١٩/٤) وفي القراءة المشهورة ﴿مَرْجِعَهُمْ﴾ .
(٦) المائدة : آية ٢٧ .

لم يفك خاتمها ؟ قال : نعم ، قال : فاقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[1] فقرأ إلى آخر الثلاث آيات .

عبد الرحمن بن زيد قال : قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، ثم قرأ عبد الله : ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۞ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[2] .

أبي عبيدة قال : قال عبد الله : الكذب لا يصلح منه شيء في جد ولا هزل اقرءوا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[3] فهل ترون من رخصة في الكذب .

وهيب أنه بلغة أن مجاهدًا كان يقول في هذه الآية : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾[4] .

سفيان قال : كان الربيع بن خيثم إذا تلا هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[5] قال : بل طوعا يارباه .

---

(١) الأنعام : آية ١٥١ .
(٢) التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧ .
(٣) التوبة آية ١١٩ .
(٤) هود : آية ١٦ .
(٥) الرعد : آية ١٥ .

مجاهد فى قوله : ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1] قال لا ينظر بعضهم فى قفا بعض .

الحسن فى قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[2] قال : أواب إلى الله بقلبه وعمله .

عن الحسن فى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[3] قال الغرام اللازم الذى لا يفارق صاحبه ، وكل عذاب يفارق صاحبه فليس بغرام .

مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[4] قال العمل بطاعة الله نصيب من الدنيا الذى يثاب عليه فى الآخرة .

فاطمة بنت عبد الملك كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : (اللهم خفف عليهم موتى ولو ساعة من نهار) ، قالت فقلت له يومًا : يا أمير المؤمنين ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئًا فإنك لم تنم ، قالت : فخرجت عنه إلى بيت غير بيت الذى هو فيه ، قالت فجعلت أسمعه يقول : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5] يرددها مرارًا ثم أطرق فلبث طويلا لا أسمع له صوتًا ، فقلت لوصيف له كان يخدمه ويحك انظر، فلما دخل صاح، قالت فدخلت عليه فوجدته ميتًا ، قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه.

---

(١) سورة الحجر : ٤٧ .
(٢) الإسراء : من الآية ٢٥ .
(٣) الفرقان : من الآية ٦٥ .
(٤) القصص : من الآية ٧٧ .
(٥) القصص : آية ٨٣ .

الضحاك بن مزاحم يقول فى قول الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] قال: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

مجاهد فى قوله : ﴿ والَّذِينَ يَمْكُرُونَ السيئاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ ومَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[2] ، قال الرياء .

الزهرى . بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : لا تمكر ولا تعن ماكرًا فإن الله يقول : ﴿ وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾[3] ولا تبغ ولا تعن باغيًا فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾[4] ولا تنكث ولا تعن ناكثًا فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَمَن نَكَثَ فَإِنَّما يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[5] .

مجاهد فى قول الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾[6] قال : هم الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة قد اتبعوه ، أو قال اتبعوا ما فيه .

الزهرى أن عمر بن الخطاب تلا هذه الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[7] قال : استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب .

---

(١) فاطر : من الآية ١٠ .
(٢) فاطر : من الآية ١٠ .
(٣) فاطر : آية ٤٢ .
(٤) يونس : من الآية ٢٣ .
(٥) الفتح : من الآية ١٠ .
(٦) الزمر : من الآية ٣٣ .
(٧) فصلت : من الآية ٣٠ .

الحسن أنه قرأ ﴿أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1] الآية ، قال : سمع رجلا من المهاجرين رجلا يقرؤها يعيدها ويبديها فقال : أو ما سمعت الله تعالى يقول : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[2] هذا الترتيل .

الضحاك قال ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3] ، ونسيان القرآن من أعظم المصائب .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض ثم قرأ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[4] .

مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة ، هذا مقام أخيك تميم الداري ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله ، ويركع ، ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[5] .

صحران مولى عثمان بن عفان قال : مرت على عثمان فخاره من ماء فدعا به فتوضأ فأسبغ وضوءه ثم قال : « لو لم أسمعه من

---

(١) فصلت : من الآية ٤٠ .
(٢) المزمل : من الآية ٤ .
(٣) الشورى : آية ٣٠ .
(٤) الدخان : آية ٢٩ .
(٥) الجاثية : آية ٢١ .

رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين ، أو ثلاثا ما حدثتكم به ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما توضأ عبد فأسبغ الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الأخرى » قال محمد بن كعب : وكنت إذا سمعت حديثا عن رجل من أصحاب النبى ﷺ التمسته في القرآن ، فالتمست هنا فوجدت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾[1] فعلمت أن الله لم يتم عليه النعمة، حتى غفر ذنوبه، ثم قرأ الآية التى فى سورة المائدة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ حتى بلغ ﴿ولَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]، فعرفت أن الله لم يتم عليهم النعمة حتى غفر لهم.

الحسن فى قول الله تعالى : ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[3] قال يعذبون .

مجاهد فى قوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[4] . قال هو لمن هم بسيئة فذكر الله فتركها .

سيار الشامى قال : قيل لأبى الدرداء : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

---

(١) سورة الفتح : الآيتان ١ و ٢ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ١٣ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .

جنّتان﴾[1] وإن زنى وإن سرق – قال : إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ﴾[2] قال خضراوان من الرى .

عبد الله بن أبى أوفى فى قوله : ﴿ مُدْهَامَّتَانِ﴾[3] قال خضراوان .

وفى قوله : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[4] قال نضاختان بالخير .

الحسن فى قوله تعالى : ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[5] . قال العرب : المتحببات إلى أزواجهن ، والأتراب والأشباه المستويات .

صالح الرى قال : قال الله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6] .

قال : يعنى يلين القلوب بعد قسوتها .

لزم رجل باب عمر ، فكان عمر كلما خرج رآه بالباب فقال له يوما : انطلق واقرأ القرآن يغنيك عن باب عمر ، فانطلق الرجل فقرأ القرآن ، وفقده عمر فجعل يطلبه ، إذ رآه يوما فقال : يا فلان لقد فقدناك فما الذى حبسك عنا ؟ قال يا أمير المؤمنين أمرتنى أن أقرأ القرآن ، فقرأته فأغنانى عن باب عمر ، فقال : وما ... . قال :

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .
(٢) سورة الرحمن : الآية ٦٤ .
(٣) سورة الرحمن : الآية ٤٦ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٦٦ .
(٥) سورة الواقعة : ٣٧ .
(٦) سورة الحديد : الآية ١٧ .

قرأت : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] . فقال عمر فقه الرجل ، لا كل هذا .

عطية الكوفى فى قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] . قال : على أدب القرآن .

البراء فى قول الله تعالى : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[3] قال : البهجة مما هم فيه من النعيم .

الحسن قال : ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾[4] قال : ملأى .

مسروق عن عبد الله فى قول الله تعالى : ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ● خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[5] قال : الرحيق الخمر المختوم المخروج « ختامه مسك » قال طعمه وريحه .

عبد الله بن مسعود فى قوله : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾[6] قال تسنيم عين الجنة يشربها المقربون صرفا وتخرج لأصحاب اليمين » .

الحسن فى قول الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾[7] قال : بخل بما لا يبقى واستغنى بغير عناء .

أبى الدرداء قال : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه فى

---

(١) سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣ .

(٢) سورة القلم : الآية ٤ .

(٣) سورة الحاقة : الآية ٢٣ .

(٤) سورة النبأ : الآية ٣٤ .

(٥) سورة المطففين : الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

(٦) سورة المطففين : الآية ٢٧ .

(٧) سورة الليل : الآية ٨ .

مثقال ذرة ، حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال ، خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فإن الله قد بين للعباد الذى يعيرهم إليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[1] ، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه ولا شيئا من الخير أن تفعله .

الحسن قال : قدم صعصعة يعنى عم الفرزدق أوجده على النبى ﷺ فسمعته يقرأ هذه الآية : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾[2] .

فقال حسبى حسبى لا أبالى أن لا أسمع غيرها .

---

(١) سورة الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

الإسلام

عن الحسن قال : الإسلام – وما الإسلام – أن تسلم قلبك لله تعالى وأن يسلم منك كل مسلم وذى عهد .

وعن عمر بن الخطاب قال لأبى عبيدة : إنكم كنتم أذل الناس وأقل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله بالإسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

وعن عقبة بن أبى الصهباء قال : كان الحسن يفتتح مجلسه وحديثه بأن يقول : الحمد لله بالإسلام ، والحمد لله بالقرآن ، والحمد لله بمحمد ﷺ والحمد لله بالأهل والمال ، والحمد لله بالمعافاة .

وعن أبى شريك أن رسول الله ﷺ قال : من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المسلم ، أو أن تفرج عنه غما أو أن تقضى عنه دينًا ، أو أن تطعمه من جوع .

وعن أبى هريرة يقول : قال ﷺ : لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا .

وعن أبى طلحة وابن سهل الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : ما من امرئ يخذل امرأ مسلمًا فى موطن تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ؛ وما من امرئ ينصر امرأ مسلمًا فى موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته .

ابن مسعود قال : ما يضر عبدًا يصبح على الإسلام ويمسى عليه ماذا أصاب من الدنيا .

أبي البحترى أن النبى ﷺ ذكر أشياء يؤجر فيها الرجل قال : يؤجر فى كذا ، ويؤجر فى كذا ، حتى ذكر غشيان أهله فقالوا : يا رسول الله : يؤجر فى شهوة يصيبها ؟ قال أرأيت لو كان إثمًا أليس كان يكون عليه الوزر . قال فكذلك يؤجر .

أبي الصهباء وهو صلة بن أشيم طلبت الرزق فى وجوهه فأعيانى أن أصيبه إلا رزق يوم بيوم فعلمت أنه خير لى ، قال : وسمعت الحسن وإلا فحدثنى داود عن الحسن أنه قال : ما من مسلم يرزق رزق يوم بيوم ولا يعلم أنه قد خير له إلا عاجز أو قال غبى الرأى .

الإيمـــان

روى ابن المبارك بسنده عن : سهل بن سعد يحدث عن النبى ﷺ قال : « المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد للرأس » .

فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا .

يزيد بن مزيد الهمزانى أن أبا الدرداء قال : ذروة الإيمان أربع خلال : الصبر بالحكم ، والرضا بالقدر ، والإخلاص للتوكل ، والاستسلام للرب ، ولولا ثلاث خلال صلح الناس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

أبى أمامة قال : سأل رجل النبى : ما الإثم ؟ قال : ما حك فى صدرك فدعه ، قال : فما الإيمان ؟ قال : إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن .

عبد الله بن مسعود قال : والذى لا إله غيره ما أعطى عبد مؤمن بعد إيمان بالله أحسن من حسن ظنه بالله سبحانه وتعالى ، والذى لا إله غيره لا يحسن عبد ظنه بالله إلا إياه وذلك لأن الخير بيده .

سعد قال : كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة .

أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من أحب المرء لا يحبه إلا لله عز وجل ، ومن كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله سبحانه وتعالى منه .

عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لنفس المؤمن أشد ارتكاضًا من الخطيئة من العصفور حين يقذف به – اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا ، وتلا هذه الآية :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾(١) وقال المنافق : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِى ﴾(٢) .

أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه » .

محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال : قال رسول ﷺ : « خصلتان لا تكونان فى منافق : حسن سمت ، ولا فقه فى الدين » .

رسول الله ﷺ قال : « المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الله فيه ، ومن عمر قد بقى لا يدرى ماذا يصيب فيه من المهلكات » .

---

(١) المؤمنون : الآيتان ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) القصص : من الآية ٧٨ .

عوف بن عبد الله أن لقمان قال لابنه : يا بنى ! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته ، قال : وكيف أستطيع ذلك يا أبه ! وإنما لى قلب واحد ، قال : يا بنى ! إن المؤمن كذى قلبين ، قلب يرجو به وقلب يخاف به .

سعد بن مسعود أن النبى ﷺ سئل : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : أحسنكم خلقًا ، قيل : أى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكرًا وأحسنهم لها استعدادًا .

أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وأدخل رسول الله ﷺ أصابعه بعضها فى بعض » .

عتبة بن عبد الأسلمى وكان من أصحاب النبى ﷺ قال : إن الشاب المؤمن لو يقسم على الله لأبره .

عمر بن سعد عن النبى ﷺ قال : عجبًا للمسلم إن أصابه خير حمد الله وشكره ، وإن أصابته مصيبة احتسب وصبر ، المؤمن يؤجر فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها إلى فيه .

الحسن قال : المؤمن من يعلم أن من قال الله عز وجل كما قال والمؤمن أحسن عملا ، وأشد الناس خوفًا ، لو أنفق جبلا من مال ما أمن من دون أن يعاين : لا يزداد صلاحًا وبرًا وعبادة إلا ازداد فرقًا ، يقول : لا أنجو ، لا أنجو ، والمنافق يقول : سواد الناس كثير ، وسيغفر لى ، ولا بأس على يسىء العمل ، ويتمنى على الله تعالى .

أبى هريرة عن النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت » .

أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس فى أجمته تجول ثم ترجع إلى أجمته ، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان ، فأطعموا طعامكم الأتقياء ، وولوا معروفكم المؤمن » .

ابن عباس قال : أحب ؛ وأبغض ، وعاد فى الله ، ووال فى الله ، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ، وقد صارت مؤاخاة الناس اليوم فى أمر الدنيا ، وذلك ما لا يجزئ عن أهله شيئًا يوم القيامة .

صالح بن سمار أن رسول الله ﷺ قال لحارث بن مالك : ألا كيف أنت ؟ أو ما أنت يا حارث ؟ قال مؤمن ، يا رسول الله ، قال : مؤمن حقًّا ، قال : فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة ذلك ؟ قال : عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى عز وجل ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أسمع عواء أهل النار ، فقال رسول الله ﷺ ، مؤمن نور الله قلبه ، قال ابن الوراق : قال ابن صاعد : ولا أعلم صالح بن سمار أسند إلا حديثًا واحدًا .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » قال : وقال الحسن : والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينًا ، وكيف لا يحزن المؤمن وقد حدث عن الله عز وجل ، وعن أنه وارد

جهنم ولم يأته أنه صادر عنها والله ليلقين أمراضًا ، ومصيبات وأمورًا تغيظه وليظلمن مما ينتصر ، يبتغي من ذلك الثواب من الله عز وجل ، وما يزال فيها حزينًا خائفًا حتى يفارقها ، فإذا فارقها أفضى إلى الراحة والكرامة - اهـ .

الحسن قال : إن المؤمن قوام عَلَى نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا ، وإنما اشتق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء يعجبه فيقول : والله إنى لأشتهيك وإنك لمن حاجتى ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات هيهات ، حيل بينى وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه ، فيقول ما أردت إلى هنا ، ما لى ولهذا ، والله لا أعود إلى هذا أبدًا إن شاء الله ، إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن ، وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير فى الدنيا يسعى فى فكاك رقبته ، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله يعلم أنه مأخوذ عليه فى سمعه ، فى بصره ، فى لسانه ، فى جوارحه ، يعلم أنه مأخوذ عليه فى ذلك كله .

عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال : « الدنيا سجن المؤمن ، فإذا فارق الدنيا فارق السجن » .

الآخـــرة

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله امتى قيام الساعة ؟ ، فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، فلما قضى الصلاة قال : أين السائل عن الساعة ؟ فقال الرجل : أنا يا رسول الله ! قال : ما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام – أو قال ما أعددت لها كبير عمل إلا أنى أحب الله ورسوله ، فقال النبى ﷺ : المرء مع من أحب ، أو قال : أنت مع من أحببت ، قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بشىء بعد الإسلام فرحهم بها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ألا إن الناس لم يؤتوا فى الدنيا شيئًا خيرًا من اليقين والعافية فسلوهما الله عز وجل . وقال الحسن صدق الله ، وصدق رسوله ، باليقين هربت من النار ، وباليقين ، طلبت الجنة ، وباليقين صبر على المكروه ، وباليقين أديت الفرائض ، وفى معاناة الله خير كثير ، قد والله رأيناهم يتقاربون فى العافية فإذا وقع البلاء تباينوا .

عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمانى سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر وقال : إنى بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض ، وإنى لأنظر إليه وأنا فى مقامى هذا ، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن

أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال عقبة : وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

معاوية بن قرة قال : أشد الناس يوم القيامة حسابًا الصحيح الفارغ .

أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا رأيت مثل النار نام هاربها » .

أنس بن مالك قال : يؤتى بأنعم بأهل الدنيا من الكفار فيقول الله سبحانه وتعالى : اغمسوه غمسة فى النار ، فيقال له : هل رأيت نعيما قط ؟ فيقول لا ، ويؤتى بأشد المؤمنين ضرًّا فيقول اغمسوه غمسة فى الجنة فيقول له : هل رأيت ضرًّا قط أو مسك بلاء قط؟ فيقول: لا .

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله ، وماله ، وعمله ، فيرجع أهله ، وماله ، ويبقى معه عمله » .

أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « يجاء بابن آدم يوم القيامة بين يدى الله ، فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يا رب جمعته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجعنى آتك به ، فإذا عبد لم يقدم خيرًا فيمضى به إلى النار » .

محمد بن المنكدر قال : يقال يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ، اجعلوهم فى رياض المسك ، ثم يقول للملائكة : أسمعوهم حمدى وثنائى عليهم وأخبروهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

عن أبى سعيد – أظنه رفعه – قال : « يؤتى بالموت يوم القيامة

كالكبش الأملح حتى يوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة هذا الموت، ويا أهل النار هذا الموت، قال : فيذبح وهم ينظرون فلو مات أحد فرحًا لمات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزنًا لمات أهل النار » .

أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من أحد يموت إلا ندم ، قالوا : وما ندامته ؟ قال : إن كان محسنًا ندم أن لا يكون أكثر من الإحسان ، وإن كان مسيئًا ندم أن يكون نزع » .

أسد بن الميمنى قال : غزونا مع أبى موسى الأشعرى فقال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج ، قلنا : وما الهرج ؟ قال : « القتل » .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء » .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يلج الجنة أحد بعمله ، قالوا : ولا إياك يا رسول الله ، قال : ولا إياى إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، أو تسعنى منه عافيته » .

ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « إن شئتم أنبأتكم بأول سورة ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة ، وبأول ما يقولون ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : يقول الله للمؤمنين قد أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ورحمتك ، فيقول : إنى قد وجبت لكم رحمتى » .

أنس بن مالك قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وسلم إذ قال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، قال : فأطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من ماء وضوئه معلق نعليه بيده الشمال ؛ فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما كان من الغد ، قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى ، فلما قام رسول الله ﷺ ، اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له : إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاث ليال ، فإن رأيت أن تؤوينى إليك حتى تحل يمينى فعلت ، قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل بشىء غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله ، وكبره حتى يقوم لصلاة الفجر فيسبغ الوضوء ، قال عبد الله : غير أنى لا أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث الليالى وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبدالله ؛ إنه لم يكن بينى وبين والدى غضب ولا هجر ، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات فى ثلاثة مجالس يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلعت أنت فى تلك الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك ، فأنظر ما عملك ؟ فأقتدى بك ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ، قال : ما هو إلا ما رأيت فانصرفت عنه ؛ فلما وليت دعانى ، وقال : ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى غلاً لأحد من المسلمين ، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه ، فقال له عبد الله بن عمرو هذه التى بلغت بك وهى التى لا تطيق .

أبي سعيد الخدرى قال : أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس .

أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطه أحدًا من خلقك ، فيقول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، احل عليكم رضوانى فلا أسخط .

الشعبى قال : يطلع القوم من أهل الجنة إلى قوم فى النار فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وإنما أدخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم قالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله . اهـ .

العلم

روى ابن المبارك بسنده عن : عبد الله بن عمرو قال : دخل رسول ﷺ المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ، فقال رسول الله ﷺ : كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل ، وإنما بعثت معلمًا ، هؤلاء أفضل فجلس معهم .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علمًا يقربنى إلى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : خيار أمتى علماؤها ، وخيار علمائها خيارها ، ألا وإن الله يغفر للعالم أربعين ذنبًا قبل أن يغفر للجاهل ذنبًا واحدًا ، ألا وإن العالم الرحيم يجىء يوم القيامة وإن نوره قد أضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضىء الكوكب الدرى .

ابن أبى جعفر أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذًا يعلم الدين قال له : لأن يهدى الله بك رجلا واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها .

الحسن قال : لا يزال العبد بخير إذا قال ، قال لله ، وإذا عمل يعمل لله .

حبيب بن حجر القيسى قال : كان يقال : ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرفق ، وما أضيف شىء إلى شىء أزين من حلم إلى علم .

محمد بن كعب القرظى قال : إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل فيه ثلاث خصال ، فقهًا في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصرًا بعيوبه .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : العلم علمان : علم في القلب ، فذلك العلم النافع ، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على خلقه .

عبد الله بن مسعود قال : لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا .

موسى ﷺ قال : أى رب أى عبادك أحكم ؟ قال : الذى يحكم للناس كما يحكم لنفسه ، قال أى عبادك أغنى ؟ قال : أرضاهم بما قسمت له ، قال : فأى عبادك أخشى ؟ قال : أعلمهم بى .

عن عبد الله قال : كفى بخشية الله علمًا ، وكفى الاغترار بالله جهلا » اهـ .

أبى ليلى قال ؛ أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبى ﷺ أراه قال في هذا المسجد فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

الحسن أنه قال : كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك فى تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وصلاته ، وحديثه ، وزهده ، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيرًا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فجعلها فى الآخرة — اهـ .

ابن شهاب قال : بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون : الاعتصام بالسنن نجاة ، والعلم يقبض قبضًا سريعًا فنعش العلم ثبات الدين والدنيا ، وذهاب الدين كله فى ذهاب العلم .

عطاء بن أبي رباح قال : ما رأيت مجلسًا قط أكرم من مجلس ابن عباس ولا أكثر فقها ، ولا أعظم جفنة ، أصحاب القرآن عنده يسألونه ، وأصحاب العربية عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده يسألونه ، فكلهم يصدر فى رأى واسع .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفى كنفه ، ما لم تمال قراؤها أمراءها ، ولم يزل صالحوها فجارها وما لم يمن خيارها شرارها ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده ، ثم سلط عليهم جبابرتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفاقة والفقر وملأ قلوبهم رعبًا .

سفيان قال : كان يقال ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة ، والرجاء مصيبة .

الضحاك قال : أدركتهم وما يتعلمون إلا الورع .

أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بالمقاريض ، قلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون » .

معاذ بن جبل : اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا — اهـ .

أبى الدرداء : إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لى قد علمت فماذا عملت فيما علمت — اهـ .

أبى الدرداء قال : إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه — اهـ .

سفيان قال : تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون .

مالك بن دينار قال : سألت الحسن عن عقوبة العالم ؟ قال : موت القلب ، قال : وما موت القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة .

عبد الله قال : إني لأحسب الرجل ينسى العلم يعلمه بالخطيئة يعملها .

سلمة بن نبيط قال : قلت لأبي ، وكان له صحبة لو غشيت هذا السلطان فقال : إني أخشى أن أشهد مشهدًا يدخلني النار .

الصلاة

روى ابن المبارك بسنده عن : عبيد الله بن أبى جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : « من أجاب داعى الله وأحسن عمارة مساجد الله كانت تحفته بذلك من الله الجنة ، فقيل : يا رسول الله : ما أحسن عمارة مساجد الله ؟ قال : لا يرفع فيها صوت ، ولا يتكلم فيها بالرفث » .

أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إسباغ الوضوء عند المكاره من الكفارات ، وكثرة الخطا إلى المساجد من الكفارات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة من الكفارات وذلك الرباط وذلك الرباط » .

أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « الكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة » .

يحيى الغسانى قال : قال رسول الله ﷺ : « مشيك إلى المسجد ورجوعك إلى بيتك فى الأجر سواء » .

عقبة بن عامر الجهنى عن النبى ﷺ قال : « من خرج من بيته إلى المسجد كتب له كاتباه بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ، والقاعد فى المسجد ينتظر الصلاة كالقانت ويكتب من المصلين حتى يرجع إلى بيته » .

ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه قال : سمع عمر بن الخطاب رجلا فى المسجد يتكلم فقال : تدرى أين أنت .

عمرو بن ميمون قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن بيوت الله فى الأرض المساجد وأن حقًّا على الله أن يكرم من زاره فيها .

حبيب بن أبى ثابت قال : كان يقال إيتوا الله فى بيته فإنه لم يؤت مثله فى بيته وأنه لا أحد أعرف بحق من الله عز وجل .

أبى الدرداء قال : إن من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ .

ميمون بن جابان قال : ما رأيت مسلم يسار متلفتا فى صلاة قط خفيفة ولا طويلة ، قال : ولقد انهدمت ناحية من المسجد ، ففزع أهل السوق لهدمتها وإنه لفى المسجد فى الصلاة فما التفت .

صلة بن أشيم قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاة لا يذكر فيها شيئًا من أمر الدنيا ثم سأل الله شيئًا أعطاه » .

أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرت بالسواك عند كل صلاة ، ولأخرت العشاء إلى نصف الليل أو إلى ثلث الليل ، وذكر نزوله عز وجل : فقال : من الذى يدعونى فأستجيب له ؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ من ذا الذى يستغفرنى فاغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » .

أبى حسين المجاشعى قال : قيل لعامر بن عبد قيس : أتحدث نفسك فى الصلاة ؟ قال : نعم ، فلما ولوا قيل قال للذين سألوه ، أو قال

لهم أحدث نفسى بالوقوف بين يدى الرب سبحانه وتعالى ، ومنصرفى من بين يديه .

عمر بن عبد العزيز قال : كان العلماء يهاب أحدهم الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد النظر بين يديه ما دام يصلى .

عدى بن حاتم قال : ما دخل وقت صلاة قط حتى أشتاق إليها .

عمار بن ياسر : لا يكتب للرجل من صلاته ماسها عنه .

عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « ما من امرئ يكون له صلاة من الليل ، ويغلبه عليها نوم ، إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة » .

أنس بن مالك قال : كان النبى ﷺ إذا صلى الغداة فى سفر مشى على راحلته قليلا » .

عبيد الله بن المغيرة أنه سمع أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف كان يسبح قبل صلاة الظهر حتى يفيء الفيء أربع ركعات يطيلهن حتى أقول قد قرأ فى بعضهن بسورة البقرة .

سعد بن إبراهيم عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن عوف يصلى قبل الظهر صلاة طويلة ، فإذا سمع شد عليه ثيابه وخرج .

أبى عبد الرحمن الحبلى قال : إذا صليت المغرب فقم فصل صلاة رجل لا يريد أن يصلى تلك الليلة ، فما رزقت من الليل قياما كان خيرًا رزقته وإن لم ترزق قياما ، كنت قد قمت أول الليل .

عبد الله بن عمرو بن العاص قال : صلاة الأوابين الخلوة التى بين المغرب والعشاء حتى يثوب الناس إلى الصلاة .

محمد بن المنكدر يحدث أن النبي ﷺ قال : « من صلى صلاة بين المغرب إلى صلاة العشاء ، فإنها صلاة الأوابين » .

عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة ، إلا وجدته يصلي ، فقلت له في ذلك ، فقال : نعم ساعة الغفلة يعني ما بين المغرب والعشاء .

ثابت البناني قال : كان أنس يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل .

عبد الكريم بن الحارث يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب : إذًا نكثر قصورنا أو بيوتنا يا رسول الله ! ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكثر فضل ، أو قال : أطيب » .

ابن طاؤوس عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي سبع عشرة ركعة من الليل .

حميد بن عبد الرحمن يقول : قال رسول الله ﷺ : « أفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل ، وأفضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم » .

عائشة قالت : ما خرج رسول الله ﷺ من عندي قط إلا صلى ركعتين .

حسان بن عطية قال – بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ، ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم » .

مرة قال : قال عبد الله : فضل صلاة الليل على النهار كفضل صدقة السر على العلانية .

ضمرة بن حبيب بن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بشيء أفضل من سجود خفي » .

أبي الدرداء قال : لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدًا الظمأ لله بالهواجر ، والسجود في جوف الليل ، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما ينتقى من أطايب الثمر .

معضد قال : لولا ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبًا .

أبي هريرة قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ بالليل يخفض طورًا ويرفع طورًا .

سعيد بن جبير قال : قال مسروق : ما آسى من الدنيا على شيء إلا على السجود لله عز وجل .

عمر بن الخطاب قال : لا يغرنكم صلاة امرئ ولا صيامه ، ولكن انظروا من إذا حدث صدق ، وإذا ائتمن أدى ، وإذا أشفى ورع .

حسان بن عطية قال : إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة وإن بينهما من الفضل لكما بين السماء والأرض ، ثم فسر ذلك أن أحدهما يكون مقبلا على الله بقلبه ، والآخر ساه غافل .

أبي ذر قال : قال رسول ﷺ : لا يزال الله مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا حرف وجهه انصرف عنه .

مجاهد في قول الله : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] قال : من القنوت الركوع والخشوع ، وغض البصر ، وخفض الجناح من رحمة الله

---

(١) البقرة : من الآية ٢٣٨ .

سبحانه وتعالى ، فكانت العلماء إذا قام أحدهم هاب الرحمن سبحانه وتعالى أن يشد نظره إلى شيء أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا إلا ناسيًا مادام في صلاته .

أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه ، فلا يحركن الحصى » .

مسلم بن يسار : إنك إذا كنت قائما بين يدى أمير أحببت أن يراك متخشعًا لينجح لك حاجتك ، قيل فأين منتهى النظر فى الصلاة ، قال موضع السجود حسن .

مطرف عن أبيه : قال : أتيت النبى ﷺ وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعنى يبكى .

عبد الله بن هبيرة أن أبا هريرة كان يقول : الصلاة قربان ، والصدقة فداء ، والصيام جنة ، إنما مثل الصلاة كمثل رجل أراد من إمام حاجته فأهدى له هدية ، ومثل الصدقة كمثل رجل أسر ففدى نفسه ، ومثل الصيام كمثل رجل لقى عدوا وعليه جنة حصينة ، وقال : إذا قام العبد يعنى إلى الصلاة ، فإنه فى مقام عظيم واقف على الله يناجيه ويترضاه قائم بين يدى الله الرحمن سبحانه وتعالى يسمع قوله ، ويرى عمله ، ويعلم ماتوسوس به نفسه ، فليقبل على الله سبحانه بقلبه وجسده ثم ليرم ببصره قصد وجهه خاشعًا أو ليخفضه فهو أقل لسهوه ولا يلتفت ولا يحرك شيئًا بيده ولا برجله ، ولا شيئًا من جوارحه حتى يفرغ من صلاته ، وليبشر من فعل هذا ولا قوة إلا بالله عز وجل .

عون بن عبد الله قال : أوصى رجل ابنه فقال : يا بنى عليك بتقوى الله وإن استطعت أن تكون اليوم خيرًا منك أمس ، وغدًا خير منك

اليوم فافعل ، وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع . وإياك وكثرة تطلب الحاجات فإنها فقر حاضر وإياك وما يعتزر منه .

عبد الله إذا كان العبد فى صلاته فإنه يقرع باب الملك وأنه من يدأب قرع باب الملك يوشك أن يفتح له .

أبى هريرة قال : إن أقرب ما يكون العبد من الله تعالى ساجدًا ، فأكثروا الدعاء عند ذلك .

القاسم بن محمد يقول : إن الصلاة النافلة تفضل فى السر على العلانية كفضل الفريضة فى الجماعة .

أنس بن مالك قال : كنت جالسًا مع النبى ﷺ فى المسجد ورجل يصلى فقال : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم ، أسألك فقال النبى ﷺ هل تدرون بما دعا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم فقال : دعا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

عبد الله بن أبى أوفى قال – قال رسول الله ﷺ : « من كانت له حاجة إلى الله ، أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ، وليصل ركعتين وليثن على الله تبارك وتعالى ، وجل وعلا ، وليصل على محمد النبى ﷺ ، ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل ذنب ، اللهم لا تدع لى ذنبا إلا غفرته ، ولا هما إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » .

أبى هريرة قال – قال رسول الله ﷺ : « الصلوات كفارات للخطايا

واقرأوا إن شئتم : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾[1] .

محمد بن كعب القرظي قال – بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « إن الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ؛ قال محمد بن كعب : هذا في القرآن : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾[2] وقال محمد : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ . قال – فطرفا النهار : الفجر والظهر والعصر ، وزلفًا من الليل : المغرب والعشاء ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ . فهى الصلوات الخمس .

عبد الله بن سلام قال : كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيف أمرهم بالصلاة ثم قرأ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا ﴾[3] الآية .

أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أبردوا بالصلاة في الحر فإن حرها من فيح جهنم أو فيح جهنم » .

سالم بن أبي الجعد قال : قال سلمان : الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين .

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : مثل الصلاة المكتوبة كالميزان من أوفى استوفى .

---

(١) هود : من الآية ١١٤ .

(٢) النساء : الآية ٣١ .

(٣) طه : من الآية ١٣٢ .

عقبة بن عاصم أن النبي ﷺ : صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء ، والمودع للأموات ثم قال : إني من بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه في مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ، قال عقبة : وكان آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ .

علي : أنه توضأ فمسح عَلَى نعليه ثم قال : لولا أني رأيت رسول الله ﷺ يفعل هذا لرأيت أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما .

أبي هريرة أن النبي ﷺ : « سها ثم سجد سجدتين » ، وقيل لابن سيرين هل سلم ؟ قال ثبت عن عمر أنه قال : سلم .

سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده ، فقال الزهري لإسماعيل بن محمد . ما سمعنا بهذا عن رسول الله ﷺ ، فقال له إسماعيل : أسمعت حديث النبي ﷺ كله ؟ قال : لا ؛ قال فالنصف ؟ قال ، لا قال : فالثلث ؟ قال : لا : قال : فهذا فيما لم تسمع . وقال عقبة في حديثه : فالثلثين ؟ قال : لا . قال فالنصف ؟ قال : لا . قال فهذا في النصف الذي لم تسمع .

الصدقة

روى ابن المبارك بسنده عن : عقبة بن عامر قال : سمعت النبى ﷺ يقول : كل امرئ فى ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى الله بين الناس .

عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل امرئ فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس ، أو قال يحكم بين الناس قال يزيد : كان ابو الخير لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشىء ولو كعكة أو بصلة .

عبد الله بن مسعود قال : ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت فى يد الرب قبل أن تقع فى يد السائل وهو يضعها فى يد السائل ، قال : وهو فى القرآن فقرأ عبد الله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾[1] .

أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا طيبًا – إلا كان الله يأخذها بيمينه فيربيها ، كما يربى أحدكم فلوه ، أو فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد .

عكرمة قال : قال رسول الله ﷺ : تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع ، وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار .

عمرو بن مرة أنه سمع خيثمة يحدث عن عدى بن حاتم عن النبى ﷺ ، أنه ذكر النار فتعوذ منها ، وأشاح بوجهه مرتين أو ثلاث

(١) التوبة : من الآية ١٠٤ .

مرات ، ثم قال : إتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة .

عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : ما أنفقتم على أهليكم فى غير إسراف ولا إقتار فهو فى سبيل الله .

أبى مسعود أن النبى ﷺ قال : إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة .

سليمان بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : صدقتك علَى المسلمين صدقة ، وعلى ذى رحم صدقة وصلة .

الزهرى قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألفا ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة .

عن عروة بن الزبير قال : لقد تصدقت عائشة بسبعين ألفًا وإن درعها لمرقع .

سفيان بن عيينة عن صاحب له يذكره عن بعض العلماء قال : إن الله أعطى لكم الدنيا قرضًا ، وسألكموه قرضًا ، فإن أعطيتموها طيبة بها أنفسكم ، ضاعف الله لكم ما بين الحسنة إلى العشر ، إلى سبعمائة

ضعف إلى أكثر من ذلك ، وإن أخذها منكم وأنتم لها كارهون فصبرتم واحتسبتم ، كان لكم الصلاة والرحمة ، وأوجب لكم الهدى .

عبد الله بن الشخير قال : أخبرنى ابن أخى عامر بن قيس : أن عامر بن قيس كان يأخذ عطاءه فيجعله فى طرف ثوبه ، فلا يلقى أحدًا من المساكين إلا أعطاه ، فإذا دخل بيته رمى به إليهم فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطيها .

أبى هريرة قال : سبق درهم مائة الف درهم ، قد كان رجل أو كأنه رجل له مال كثير فأخذ من عرض ماله مائة الف درهم ، فتصدق به . وكان رجل ليس له إلا درهمان ، فأخذ خيرهما ثم فتصدق به .

مالك الدار ، أن عمر بن الخطاب أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام : اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم تله ساعة فى البيت حتى تنظر ماذا يصنع ، فذهب بها الغلام إليه فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا فى بعض حوائجك ، فقال : وصله الله ، ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية اذهبى بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، حتى أنفذها ، فرجع الغلام إلى عمر بن الخطاب فأخبره ووجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال : اذهب بها لمعاذ بن جبل ثم تله فى البيت ساعة حتى تنظر إلى ما يصنع ، فذهب بها إليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا فى حاجتك فقال : وصله الله ورحمه ، تعالى يا جارية اذهبى إلى فلان بكذا ؛ وإلى بيت فلان بكذا ، وإلى بيت فلان بكذا ، فاطلعت امرأة معاذ ، فقالت : ونحن والله مساكين فاعطنا فلم يبق فى الخرقة إلا ديناران ؛ فدحا بهما إليها

فرجع الغلام إليه فأخبره فسر بذلك عمر ؛ وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : إن من الصدقة أن يتعلم الرجل العلم يتعلمه إبتغاء وجه الله عز وجل .

الصوم

روى ابن المبارك بسنده عن : أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه .

عطاء بن يسار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : من صام رمضان فعرف بحدوده وتحفظ بما ينبغى له أن يتحفظ فيه ، كفر ما قبله .

يحيى بن ابى كثير عن النبى ﷺ قال : إن الله تعالى كره لكم العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام ، والضحك عند المقابر .

ضمرة بن أبى حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : إن لكل شىء بابًا وإن باب العبادة الصيام .

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أفطر عند أهل بيت قال : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وتنزلت عليكم الملائكة أو قال صلت .

عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : رب منعته الطعام والشهوات بالنهار ، فشفعنى فيه . ويقول القرآن : رب منعته النوم بالليل ، فشفعنى فيه فيشفعان .

معاذ أبو زهرة قال : كان رسول الله ﷺ إذا صام ثم أفطر قال : اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت .

جابر بن عبد الله قال : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكلام والمحارم ، ودع أذى الخادم ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك وصيامك سواء .

أم عمارة بنت كعب جدة حبيب يعني بن زيد قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ ، فقدمت إليه طعامًا فقال لى : كلى فقلت إنى صائمة ، فقال إن الصائم إذا أكل عنده طعام صلت عليه الملائكة حتى يفرغ منه أو قال حتى يقضوا أكلهم .

سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون أتى النبى ﷺ فقال : ائذن لنا بالاختصاء ، فقال رسول الله ﷺ : ليس منا من خصى ولا اختصى ، إن خصاء أمتى الصيام ، فقال يارسول الله ائذن لنا فى الترهب ، فقال : إن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد لانتظار الصلاة .

الحج

روى ابن المبارك بسنده عن : سالم عن أبيه أنه كان يكثر الاشتراط في الحج ويقول : أليس تحسبكم سنة رسول الله ﷺ .

عن جابر عن النبي ﷺ مثل عن العمرة أواجبة هي ؟ قال : لا وأن تعتمروا خير لكم .

يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي يقول : ضحى رسول الله ﷺ ، بكبشين أملحين موجوءين ، فقرب أحدهما فقال : اللهم منك وإليك ، اللهم إن هذا عن أمة محمد وأهل بيته ، ثم قرب الآخر فقال : بسم الله اللهم منك وإليك ، اللهم هذا عمن وحدك من أمتي .

الذكــر

روى ابن المبارك بسنده عن : معاذ بن جبل قال : ما عمل عبد من عمل أنجى له غدًا من ذكر الله تعالى .

عبد الله بن بشر صاحب النبي ﷺ يقول قال رجل : يارسول الله : أى العمل أفضل ؟ قال : لايزال لسانك رطبًا من ذكر الله .

الحسن قال : سئل النبي ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى .

أبى هريرة ونحن فى بيت هذه يعنى أم الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يأثر عن ربه أنه قال : أنا مع عبدى ما ذكرنى ، وتحركت بى شفتاه .

خالد بن معدان قال : إن الله يقول : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ أفضل – أو قال أطيب – منه وأكرم قال – وقال : ما من عبد يضع صدغه للفراش ، وهو يذكر الله تعالى إلا كتب ذاكرًا حتى يستيقظ متى استيقظ .

أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عن النبي ﷺ : ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة ، وتغشتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده .

أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة

الله عز وجل ، ورجل كان قلبه معلقًا فى المسجد ، ورجلان تحابا فى الله عز وجل ، ورجل ذكر الله فى الخلاء ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله بما صنعت يمينه .

أبى سعيد المقبرى قال : قيل يا رسول الله أى الحاج أعظم أجرًا ؟ قال : أكثرهم لله ذكرًا ، قال فأى المصلين أعظم أجرًا ؟ قال : أكثرهم لله ذكرًا . قال : فأى المجاهدين أعظم أجرًا ، قال : أكثرهم لله ذكرًا ، قال زهرة فأخبرنى أبو سعيد المقبرى أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكر : ذهب الذاكرون بكل خير .

شريح بن عبيد وعبد الرحمن بن جبير بن نفير أن رسول الله ﷺ قال يومًا : إن ربكم يقول إن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وإن كان مكافئًا قرنه .

أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتاه وقال : أوصنى يا أبا سعيد . فقال له أبو سعيد سألت عما سألت عنه من قبلك ، قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك فى أهل السماء وذكرك فى أهل الأرض ، وعليك بالصمت إلا فى حق فإنك به تغلب الشيطان .

مالك بن أنس قال : بلغنى أن عيسى بن مريم ﷺ قال لقومه : « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله تعالى فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسى بعيد من الله ، ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا فى ذنوب الناس

كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد ، إنما الناس رجلان ، مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية » .

عبد الوهاب بن الورد قال : ما اجتمع قوم فى مجلس أو ملأ إلا كان أولاهم بالله الذى يفتح بذكر الله عز وجل حتى يفيضوا فى ذكره ، وما اجتمع قوم فى مجلس أو ملأ إلا كان أبعدهم من الله الذى يفتح بالشر ثم يخوضوا فيه .

سعيد بن جبير قال : الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته ؛ فتلك الخشية ، والذكر طاعة الله ، ومن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطع الله فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة الكتاب .

خالد بن عمران يقول : قال رسول الله ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن .

عيسى بن عمرو قال : كأنهم ذكروا عند ربيع بن خثيم شيئاً من أمر الناس ، فقال ربيع : ذكر الله خير لكم من ذكر الرجال .

حمزة من بعض ولد ابن مسعود قال : طوبى لمن أخلص دعاءه وعبادته لله ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينسه ذكر الله ما تسمع أذناه ، ولم يحزن نفسه بما أعطى غيره .

أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى كل يوم مائة مرة .

عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال : « الأواب الحفيظ » الذى لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله سبحانه وتعالى .

عبيد بن عمير في قول الله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1] .
قال : هم الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء ويستغفرون منه .

على بن أبى طالب قال : ما حدثنى أحد عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته غير أبى بكر ، إنه حدثنى أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، إنه سمع النبى ﷺ ويقول : ما من رجل يذنب ذنبًا فيتوضأ ، فيسبغ الوضوء ، ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر ربه إلا غفر الله تعالى له .

مالك بن الحارث قال : يقول الله تعالى : إذا شغل عبدى ثناؤه على ، عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

عبيد بن عمير قال : تسبيحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تسير معه ذهبًا .

سعيد بن جبير قال : إن أول من يدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله على كل حال ، أو قال فى السراء والضراء .

الحسن أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : الحمد لله بالإسلام فقال : إنك لتحمده على نعمة عظيمة .

أبى سعيد مولى ابن عامر أن رسول الله ﷺ مر على رجل وهو يقول : الحمد لله الذى جعلنى من أمة محمد ، فقال رسول الله ﷺ : كفى بها من نعمة .

سعيد بن جبير قال : إذا قال أحدكم لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، فليقل الحمد لله رب العالمين ثم قرأ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الإسراء : من الآية ٢٥ .

عثمان بن حيان قال : أكلنا مع أم الدرداء طعامًا فأغفلنا الحمد لله ، فقالت : يا بنى لا تدعوا أن تأدموا طعامكم بذكر الله أكلاً وحمدًا خيرًا من أكل وصمت .

شهر بن حوشب قال : كان يقال إذا جمع الطعام أربعًا كمل كل شيء من شأنه : إذا كان أوله حلاله ، وذكر اسم الله تعالى ، وكثرت عليه الأيدى ، وحمد الله تعالى عليه حين يفرغ منه فقد كمل كل شيء من شأنه .

الحسن أن رسول الله ﷺ قال : ألا أنبئكم بأفضل الكلام : ليس القرآن ، وهو من القرآن سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر .

عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : نزل بأبى الدرداء رجل فقال أبو الدرداء : أمتيم فنسرح ، أو ظاعن فنعلف ، قال : بل ظاعن ، فقال : ما أجد لك شيئًا أعلمكه أفضل من كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ أو قال علمنيهن رسول الله ﷺ تدرك به من قبلك ولا يدركك من بعدك إلا من جاء بهن ، تكبر في دبر كل صلاة أربعًا وثلاثين ، وتحمد ثلاثًا وثلاثين وتسبح ثلاثًا وثلاثين .

قيس بن بشر التغلبى قال : كان أبى جليسًا لأبى الدرداء بدمشق ، وكان بدمشق رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يقال له ابن الحنظلية ، وكان رجلا متوحدًا قلما يجالس الناس ، إنما هو صلاة . فإذا انصرف فإنما هو تكبير ، وتسبيح وتهليل حتى يأتى منزله ، فمر بنا يومًا ونحن عند أبى الدرداء فسلم فقال أبو الدرداء : كلمة تنفعنا

ولا تضرك فقال لنا رسول الله ﷺ : إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس إن الله لا يحب الفحش والتفحش .

ربيع بن خيثم قال : أقلوا الكلام إلا فى تسع : تسبيح ، وتحميد ، وتهليل ، وتكبير ، وقراءة القرآن ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وسؤالك الخير ، وتعوذك من الشر .

أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أدلك على كلمة كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله ! قال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

أبى موسى الأشعرى قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما أقبلنا وأشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة ، ورفعوا بها أصواتهم ، فقال رسول الله ﷺ : إن ربكم ليس بأصم ولا غائب ، هو بينكم وبين رؤوس رواحلكم ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ! ألا أعلمك كلمة كنزا من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

عبد الله أبى طلحة عن أبيه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم ، والبشر يرى فى وجهه فقال : إنه جاءنى جبرائيل فقال : أما يرضيك يا محمد ؟ أن لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا ، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : بحسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده « فلم يصل على » صلوات الله عليه وسلم تسليمًا .

عبدالله بن عمرو أن رجلا قال : يا رسول الله ! إن المؤذنين يفضلوننا، قال رسول الله ﷺ : قولوا كما يقولون ، فإذا فرغت فسل تعطه .

عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال : أصبحنا وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار ، وما سكن فيها لله وحده لا شريك له ، اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحًا ، وأوسطه فلاحًا ، وآخره نجاحًا ، وأسألك خير الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين .

الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداويًا في طاعة الله فبغاك وبغاك ، فرآك مداومًا ملك ورفضك ، وإذا كنت مرة هكذا ، ومرة هكذا طمع فيك .

عن أبي الضحى قال : سمعته يقول : إن عباد الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين إذا رؤوا ذكر الله .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : إن عباد الله إذا رؤوا ذكر الله تعالى .

الحسن قال : إن من أفضل العمل ، الورع والتفكر .

عون بن عبد الله قال : قلت لأم الدرداء : أى عبادة أبي الدرداء كان أكثر ؟ قالت : التفكر والاعتبار .

حميد بن هلال : خرج أبو رفاعة يريد السوق فلقى رجلا فقال : أين تريد ؟ فلما أكثر عليه قال : أذكر الله عز وجل حيث لا يذكر .

أبي الدرداء قال : إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله ، ويحببون الله إلى الناس والذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله عز وجل .

سعيد بن جبير قال : سئل رسول الله ﷺ من أولياء الله ؟ قال : الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل .

عبد الله بن مسعود أن الجبل يقول للجبل : يا فلان . هل مر بك اليوم ذاكر لله فإن قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله بن مسعود ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا • لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ إلى قوله : ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾[1] قال : أفلا تراهن يسمعن الزور ولا يسمعن الخير .

قتادة قال : كان يقال : ما سهر لليل منافق – اهـ .

عمر بن الخطاب قال : من نام عن حزبه ، أو عن شيء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر ، وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأها من الليل .

---

(١) مريم : الآيات ٨٨–٩١ .

الدعاء

روى ابن المبارك بسنده عن : صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ : إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فادعوا الله أيها الناس حين تدعون وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل .

علقمة بن مرثد وإسماعيل بن أمية أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من صلاته – رفع يديه وضمها وقال : رب اغفر لى ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، لك الملك ولك الحمد .

رجل من أصحاب النبى ﷺ قال : أتيت النبى ﷺ ضحى أقال وهو يصلى الضحى – حصين يشك – فسمعته يقول مائة مرة : اللهم اغفر لى وارحمنى ، قال عبد الرحمن يعجبنى الرجل أن يقول هذا فى السحر عند وجه الصبح .

الحسن فى هذه الآية : ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] قال اعملوا وأبشروا ، فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .

أبى هريرة قال – سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدخل الجنة

---

(١) غافر : من الآية ٦٠ .

من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر ، فقال أبو هريرة فقام عكاشة الأسدى فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل من الأنصار فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال سبقك بها عكاشة » .

القاسم بن عبيد قال : قلت لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ، ادع الله لنا ، قال الدعاء يرفعه العمل الصالح .

سفيان قال : بلغنا أنه كان من دعاء النبى ﷺ : اللهم سلم ، سلم .

أنس بن مالك أن النبى ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت وصار مثل الفرخ ، فقال رسول الله ﷺ : هل كنت تدعو الله بشيء ؟ قال : نعم ، كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبني في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه فهلا قلت : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾[1] فدعا الله فشفاه .

أبى موسى قال – كنا مع الرسول ﷺ فجعلنا لا نعلوا شرفًا ولا نهبط واديًا إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير ، فدنا منا النبى ﷺ فقال : أيها الناس إنكم لستم تدعون أصم ولا غائبًا ، إنما تدعون سميعًا قريبًا ، فأربعوا على أنفسكم ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .

الحسن قال – قال داود : رب لا مرض يفنيني ولا صحة تنسيني ولكن بين ذلك .

(١) البقرة : الآية ٢٠١ .

الربيع بن خيثم قال : مناشدة العبد لربه عز وجل أن يقول قضيت نفسك الرحمة ، وما رأيت أحدًا يقول : قد أديت ما على فأد ما عليك .

عبد الله بن شداد قال : قال رجل : يا رسول الله ما الأواه ؟ قال الأواه : الخاشع الدعاء المتضرع ، ثم قرأ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1] .

(١) التوبة : من الآية ١١٤ .

الأخلاق

روى ابن المبارك بسنده عن : عمر بن الخطاب قال – قال رسول الله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

يحيى بن أبى كثير قال – قال رسول الله ﷺ : إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى أموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عز وجل عليه وإنما أنتم بنى آدم أكرمكم عند الله أتقاكم .

زبيد قال : يسرنى أن يكون لى فى كل شىء نية حتى فى الأكل والنوم .

أبى عبيدة بن عقبة قال : من سره أن يكمل له عمله ، فليحسن نيته فإن الله سبحانه وتعالى يأجر العبد إذا أحسن نيته .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق شىء أفئدة – اهـ .

سليمان قال : إن لكل امرئ جوانيا وبرانيا ، فمن يصلح جوانيه يصلح الله برانيه ، ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه .

شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ،والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله .

الحسن قال : اعتبروا الناس بأعمالهم ، ودعوا قولهم فإن الله لم يدع قولا إلا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه ، فإذا سمعت قولا حسنا فرويدًا بصاحبه ، فإن وافق قولا وعملا فنعم ونعمة عين فآخه وأحببه ، وأودده ، وإن خالف قولا وعملا فماذا يشبه عليك منه ، أو ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه ، لا يخدعنك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولا وعملا فعملك أحق من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية فسريرتك أحق بك من علانيتك وإن لك عاجلة وعاقبة فعاقبتك أحق بك من عاجلتك .

بكر بن عبد الله قال : لما كانت فتنة بن الأشعث قال طلق ابن حبيب اتقوها بالتقوى ، قال بكر : أجمل لنا التقوى ، قال : التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله ، رجاء رحمة الله ، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله خيفة عقاب الله .

سفيان قال : أمهم أبو وائل فرأى من صوته فقال كأنه أعجبه قال : فترك الإمامة .

يزيد بن ميسرة قال — قال الله : إنى لست كل كلام الحكيم أتقبل ، ولكنى أنظر إلى همه وهواه ، فإن كان همه وهواه لى جعلت صمته وقارًا وحمدًا لى ، وإن لم يتكلم .

المغيرة بن حكيم قال — قالت فاطمة بنت عبد الملك : يا مغيرة ! قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصومًا من عمر بن عبد العزيز ، ولكن لم أر رجلاً من الناس قط أشد فرقًا من ربه من عمر بن عبد العزيز ، فكان إذا دخل بيته ألقى نفسه فى مسجده ، فلا يزال يبكى ويدعو حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.

توبة العنبرى قال : أرسلنى صالح بن عبد الرحمن إلى سليمان ابن عبد الملك فقدمت عليه ، فقلت لعمر بن عبد العزيز :هل لك حاجة إلى صالح ؟ فقال : قل له عليك بالذى يبقى لك عند الله ما بقى عند الله بقى عند الناس ، وما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس .

سفيان قال : قال رجل للحسن . أوصنى ؟ قال : أعز أمر الله يعزك الله – اهـ .

أبى قتادة ، وأبى الدهماء قالا : أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوى : أخذ رسول الله ﷺ بيدى ، فعلمنى مما علمه الله فكان مما حفظت عنه أن قال : وإنك لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيرًا منه .

أبى بن كعب قال – ما ترك عبدًا شيئًا لا يتركه إلا لله إلا أتاه الله بما هو خير منه من حيث لا يحتسب ، ولا تهاون عبد أو أخذه من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد منه من حيث لا يحتسب .

سهل الأنصارى قال – قال رسول الله ﷺ : « ما من امرئ مسلم ينصر امرأ مسلما فى موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

الشعبى قال : كنت سمعت النعمان بن بشير يقول : ياأيها الناس تراحموا فإنى سمعت رسول الله بأذنى المسلمون كالرجل الواحد إذا اشتكى منه عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده .

الحسن قال – قال نبى الله ﷺ : والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا رحيم ، قالوا كلنا رحماء ، قال : برحمة أحدكم خويصته حتى يرحم الناس ، قال إسماعيل قال يونس بيده كأنه يريد العامة .

معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : « من حمى مؤمنا » من مأزق بعث له يوم القيامة ملك يحميه من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنًا بشيء يريد شينه حبسه اللهعلى جسر جهنم حتى يخرج مما قال .

أبى أمامه قال – قال رسول الله ﷺ : من مسح رأس يتيم كان له بكل شعره مرت يده عليها حسنة ..

عمرو بن مالك ، أو مالك بن عمرو قال – قال رسول الله ﷺ : من ضم يتيما بين أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة .

أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال ﷺ بأصبعيه أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهكذا وهو يشير بأصبيعيه .

أبى هريرة أنه رأى رجلا عَلى دابته وغلامًا يسعى خلفه فقال : ياعبدالله احمله فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله .

عبدالله بن عمرو قال : مر رسول الله ﷺ برجل يحلب شاة فقال : إذا حلبت فأبق لولدها ، فإنها من أبر الدواب .

عبدالله بن مسعود قال : إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه تقولوا : اللم اخزه ، اللهم العنه ولكن سلوا الله العافية ، فإنا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول فى أحد شيئًا حتى نعلم على ما يموت ، فإن ختم له بخير علمنا – أو قال رجونا – أن يكون قد أصاب خيرًا وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله .

عمر بن الخطاب قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فإنه

أهون أو قال أيسر لحسابكم ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾[1] .

سفيان أن الأحنف بن قيس قال : ثلاث ليس عندى فيهن أناة : الضيف إذا نزل بى أن أعمل له ما كان ، والجنازة لا أحبسها ، والأيم إذا عرض لها رغبة أن أزوجها .

مجاهد قال : اتباع الجنائز أفضل من النوافل .

سعيد بن المسيب قال : للمتحابين فى الله عز وجل منابر من نور يغبطهم بها الشهداء .

عبد الرحمن بن سابط قال : أخبرت أن عن يمين الرحمن تبارك وتعالى – وكلتا يديه يمين – قوم على منابر من نور ، وجوههم نور ، عليهم ثياب خضر تغش أبصار مناظرين دونهم ، وليسوا بأنبياء ولا شهداء ، قيل : فما هم ؟ قال : قوم تحابوا فى جلال الله حين عصى الله فى أرضه .

طلحة بن عبيد الله بن كريز قال : ما تحاب متحابان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًا لصاحبه ، وإن مما لا يرد من الدعاء دعاء المرء لأخيه بظهر الغيب ، وما دعا له بخير إلا قال الملك الموكل ولك مثله .

عبدالله بن عمرو بن العاص قال – قال رسول الله ﷺ : المقسطون يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا .

---

(١) الحاقة : الآية ١٨ .

أبي الدرداء قال : نعم صومعة المرء المسلم بيته ، يحفظ عليه نفسه وسمعه وبصره ، إياكم ومجالس السوق فإنها تلهي وتطغي .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله تعالى بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم .

علقمة بن أبي وقاص الليثي أن بلال بن الحارث المازني قال له إني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتغشاهم فانظر ماذا تحاضرهم به ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير ما يعلم مبلغها يكتب الله له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ، ما يعلم مبلغها يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه ، وكان علقمة يقول : رب حديث قد حال بيني وبينه ما سمعت من بلال .

بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال — سمعت رسول الله ﷺ يقول : ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ، ويل له .

أبي هريرة قال :قال رسول الله ﷺ : إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك جلساءه يهوى بها أبعد من الرياء .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : من أرض الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومن أرض الناس برضاء الله كفاه الله .

ابن مسعود قال : لأن ألحس بجمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان .

عن موسى بن أبى عيسى المدينى قال — قال رسول الله ﷺ : كيف بكم إذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم ؟ قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال : نعم وأشد منه ، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ ، قالوا يا رسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال واشد منه ، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفًا والمعروف منكرًا ؟ .

الشعبى قال — سمعت النعمان بن بشير يقول على هذا المنبر : يا أيها الناس خذوا على أيدى سفهائكم ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن قومًا ركبوا فى سفينة فاقتسموا فأصاب كل رجل منهم مكانًا ،فأخذ رجل منهم الفأس فنقر مكانه قالوا ما تصنع ؟ قال : مكانى أصنع به ماشئت ، فإن أخذوا على يديه نجوا ونجا وإن تركوه غرق وغرقوا ، خذوا على أيدى سفهائكم قبل أن تهلكوا .

أنس بن مالك قال : عطس رجلان عند النبى ﷺ فشمت رسول الله ﷺ أحدهما ولم يشمت الآخر ، وقال إن هذا قال الحمدلله ولم تقل أنت الحمد لله .

عقبة بن عامر قال : قلت يانبى الله ما النجاة ؟ قال ، أن تمسك عليك لسانك ، ويسعك بيتك ، وابك على خطيئتك .

أبى أمامة عن النبى ﷺ قال : « قال الله تعالى : أحب ما يعبدنى به النصح لى .

أبى نجيح قال : سمعت طاوسًا يسأل أبى عن حديث فرأيت طاووسًا كأنه يعقد بيده ، وقال أبى : ياأبا عبد الرحمن إن لقمان قال : إن من الصمت حكمًا ، وقليل فاعله ، فقال له طاووس : يا أبا نجيح ، إنه من تكلم واتقى الله خير ممن صمت واتقى الله .

حذيفة بن اليمان : إن الحق ثقيل ، وهو مع ثقله مرىء ، وإن الباطل خفيف وهو مع خفته وبىء ، وترك الخطيئة أيسر ، أو قال : خير – من طلب التوبة ، ورب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلا .

سمرة بن جندب قال : من سره أن يعلم ماله عند الله فلينظر ماله عنده ، ومن سره أن يعلم مكان الشيطان منه ، فلينظره عند عمل السر .

عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أن أبا ذر الغفارى دعى إلى وليمة فلما حضر إذا هو بصوت فرجع فقيل له : ألا تدخل ؟ فقال : أسمع فيه صوتًا . ومن كثر سوادًا كان من أهله ، ومن رضى عملا كان شريك من عمله .

عطاء بن السائب أن أبا البخترى وأصحابًا له كان إذا مشى احدهم فى الطريق فسمع ثناء عليه ثنى منكبيه وقال : خشعت لله .

سعيد بن جابر أن أبا الدرداء قال : إذا قضى الله قضاء أحب أن يرضى بقضائه .

سفيان عن زبيد قال عبد الله : الفرح والروح فى اليقين والرضا ، والغم والحزن فى الشك والسخط .

أبى الدرداء قال : أحسنوا مجاورة نعم الله ، ولا تملوها ، ولا تنفروا فإنها لكل ما نفرت عن قوم فعادت إليهم .

بكير بن الأشج أن عبد الله بن سلام خرج من حائط له بحزمة حطب يحملها فلما أبصره الناس قالوا : يا أبا يوسف ! قد كان يعنى فى ولدك وعبيدك من يكفيك هذا ، قال : أردت أن أجرب قلبى هل ينكر هذا .

علي بن يزيد قال : سمعت عمر بن عبد العزيز وهو يخطب يقول : ألا إن أفضل العمل أداء الفرائض وإمساك عن المحارم .

سليم بن جابر بن سليم قال : أتيت النبي ﷺ وهو جالس مع أصحابه ، فقلت أيكم النبي ؟ فأما أن يكون أومأ إلى نفسه ، وإما أشار إليه القوم ، فإذا هو محتب ببرودة قد وقع هو بها على قدميه ، فقلت يا رسول الله إني سائلك عن أشياء فعلمني ، قال : اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، وإياك والمخيلة فإن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتم بعيرك بأمر يعلمه فيك فلاتعيره بأمر تعلمه فيه، فيكون لك أجره ، وعليه إثمه ولا تسبن أحدًا.

هشام بن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة بني : لتكن كلمتك طيبة ، وليكن وجهك بسيط تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء .

عائشة قالت : من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف نفسه عن الذنوب فإنكم لم تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب اهـ .

أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : من كف لسانه عن أعراض الناس أقال الله عثرته يوم القيامة ، ومن كف غضبه عنهم وقاه الله عذابه يوم القيامة .

عبد الله بن مسعود : لو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلبا وإني أكره أن أرى الرجل فارغًا ليس في عمل آخرة ولا دنيا .

أبي بكر بن حزم قال – قال رسول الله ﷺ : إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله ، فلا يحل لأحدهما أن يفش على صاحبه ما يكره .

أبى هريرة قال – قال رسول الله ﷺ : إذا أحب أحدكم أن يعلم قدر نعمة الله عليه فلينظر إلى من هو تحته ، ولا ينظر إلى من هو فوقه .

جابر بن عبد الله قال : سمعت النبى ﷺ يقول قبل موته بثلاث : ألا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن .

الحسن قال – ذكر لنا أن النبى ﷺ قال : ليس الغنى عن كثرة المال ، ولكن غنى القلب .

أنس بن مالك قال – قال رسول الله ﷺ : إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير ، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه ، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه .

عمر بن الخطاب وهو يخطب فى الناس ويقول : لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولكنه من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس فهو الرجل .

أبى ذر قال : أوصانى خليلى ﷺ إذا صنعت مرقًا فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف .

حوط بن رافع أن عمرو بن عتبة كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم قال : فخرج فى الرعى فى يوم حار . فأتاه بعض أصحابه فإذا هو بالغمامة تظله وهو نائم ، فقال : أبشر يا عمرو ! فأخذ عليه عمرو أن لا يخبر به أحدًا .

قتادة قال : أنبئت أن عامر بن عبد قيس تخلف عن أصحابه فقيل له إن هذه الأجمة فيها الأسد وإنا نخشى عليك ، فقال : إنى لا أستحى من ربى أن أخشى شيئًا دونه .

بلال بن سعد قال : إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها وإذا أعلنت فلم تغير ضرت العامة .

أزهر بن راشد الكندى أن رسول الله ﷺ قال : إن العبد ليبدى عن نفسه ما ستره الله فيتمادى فى ذلك حتى يمقته الله .

عمر بن عبد العزيز قال : كان يقال إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة ، ولكن إذا عمل المنكر جهارًا استحقوا كلهم العقوبة .

عبد الله بن الحسن قال — قال على : لا يترك الناس شيئًا من دينهم إرادة استصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أضر عليهم وما هو شر عليهم منه .

أنس بن مالك قال — قال رسول الله ﷺ : « من أنعش حقًا بلسانه جرى له حتى يأتى الله يوم القيامة فيوفيه ثوابه » .

وقال حبان : « حقًا يعمل به بعده » .

ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « أمرنى جبريل أن أيسر » .

عبد الله بن عمر عن أبيه قال — قال رسول ﷺ : « من ظلم شبرًا من الأرض خنق به يوم القيامة » .

أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقطع ألسنتهم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بما لا يفعلون .

الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا تقوم دونه الحجبة ، ولا يغدى عليه بالجفان ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزًا من أراد أن يلقى نبى الله ﷺ لقيه ،

وكان والله يجلس بالأرض ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف بعده ، ويلعق والله يده .

رجل قال : كان طارق قال : إن لم يبايع سعيد بن المسيب لأقتلنه قال : فدخلنا على سعيد بن المسيب فقلنا له . فقال : لا أبايع لرجلين . فقيل له تغيب ، فقال : أحيث لا يقدر على الله ؟ فقلنا اجلس فى بيتك ، فقال : أدعى إلى الفلاح فلا أجيب ؟ .

خالد الربعى قال : كنا نتحدث أن مما يعجل عقوبته أو قال : لا يؤخر عقوبته الأمانة تخان ، والإحسان يكفر ، والرحم تقطع والبغى على الناس .

ثوبان قال – قال النبى ﷺ : إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه – اهـ .

ابن عباس قال : مر بنا رسول الله ﷺ بقبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتره من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم قال : فأخذ جريدة فشقها بنصفين ، فغرز فى كل قبر واحدة ، فقيل يا رسول الله ! لم فعلت هذا ؟ فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا .

شعيب الجبائى قال : إذا كمل فجور الإنسان ملك عينيه فمتى شاء أن يبكى بكى – اهـ .

ضمرة بن حبيب أن رسول الله ﷺ قال : إن أول شىء يرفع من هذه الأمة : الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعًا . اهـ .

زبيد أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب : إنى موصيك بوصية إن

حفظتها ، إن لله تعالى حقًا بالنهار لا يقبله بالليل ، ولله فى الليل حقًا لا يقبله فى النهار ، وإنها لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الحق ، وثقله عليهم ، وحق الميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم فى الدنيا الباطل وخفته عليهم ، وحق للميزان ألا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف وأن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا ، وتجاوز عن سيئاتهم فيقول قائل : أنا أفضل من هؤلاء – وذكر آية الرحمن ، وآية العذاب . فيكون المؤمن راغبًا راهبًا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة ، فإن حفظت قولى فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ، ولابد لك منه ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ، ولن تعجزه .

الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : كلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم جعلنا الله فداك .

قال فاقصروا من الأمل ، وتبينوا حالكم من أنصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء .

قلنا : كلنا نستحى من الله .

قال : الحياء من الله : أن لا تنسوا المقابر والبلى ، ولا تنسوا الجوف وما وعى ولا الرأس وما حوى ، ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا ، هنالك يكون قد استحى من الله وأصاب ولاية الله .

حكيم بن عمير أن النبى ﷺ قال : من فتح له باب من الخير ما ينتهزه . فإنه لا يدرى متى يغلق عنه – اهـ .

الزهد

روى ابن المبارك بسنده عن : عون بن عبد الله أنه كان يقول : كم من مستقبل يومًا لا يستكمله ، ومنتظر غدًا لا يبلغه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره .

أبى الدرداء قال : أضحكنى ثلاث ، وأبكانى ثلاث ، أضحكنى مؤمل دنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس بمغفول عنه ، وضاحك يملأ فيه ولا يدرى أرض الله أم أسخطه ، وأبكانى فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت ، والوقوف بين يدى الله عز وجل يوم تبدو السريرة علانية ، ثم لا أدرى إلى الجنة أم إلى النار .

عبد الله بن عمر قال – قال رسول الله ﷺ : « ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة الدنيا وعفاف فى بطنه وفرجه » .

بلال بن سعد قال : زاهدكم راغب ، ومجتهدكم مقصر ، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مغتر .

على بن أبى طالب قال : إنما أخشى عليكم اثنين : طول الأمل ، واتباع الهوى ، فإن طول الأمل ينسى الآخرة ، وإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل .

سفيان بن عيينة قال – أخبرنا رجل قال : قيل للحسن فى شىء

قاله : يا أبا سعيد ما سمعت أحدًا من الفقهاء يقول هذا ، قال : وهل رأيت فقيها قط ، إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، الراغب فى الآخرة ، الدائب في العبادة قال : وما رأيت فقيها قط يدارى ولا يمارى ، ينشر حكمة الله فإن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله .

ابن سعد أن حفصة قالت لعمر ألا تلبس ثوبًا ألين من ثوبك وتأكل طعامًا أطيب من طعامك هذا ؟ فقد فتح الله عليك الأرض وأوسع عليك الرزق ، قال سأخصمك إلى نفسك ، فذكر أمر الله رسول الله ﷺ ، وما كان يلقى من شدة العيش ولم يزل يذكر حتى بكت ثم قال عمر لأشركنها في مثل عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما مثل عيشهما الرخى .

علقمة بن عبد الله قال : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : يارسول الله ! ألا آذنتنى قبل أن تنام على هذا الحصير ، فأبسط لك عليه شيئًا يقيك منه ؟ فقال رسول الله ﷺ : مالى وللدنيا ، وما للدنيا ولى ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل فى فيىء أو ظل شجرة ثم راح وتركها .

المستورد بن شداد أحد بنى فهر ، قال : كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها ؟ قالوا : من هوانها ألقوها يا رسول الله ! قال : فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها .

مسلمة قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر فى بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد فجاءته الجارية

بطبق عليه تمر صيحانى . وكان يعجبه التمر فرفع بكفيه منه ، فقال : يا مسلمة ! أترى لو أن رجلا أكل هذا ثم شرب عليه من الماء فإن الماء على التمر طيب أكان مجزيه إلى الليل ؟ قال : قلت لا أدرى فرفع أكثر منه ، فقال فهذا ؟ قلت نعم يا أمير المؤمنين ! كان كافيه دون ما هذا حتى ما يبالى أن لا يذوق طعامًا غيره ! قال : فعلام تدخل النار ؟ قال فقال مسلمة فما وقعت منى موعظة ما وقعت منى هذه .

خيثمة قال : قال سليمان بن داود صلى الله عليهما : كل العيش قد جربناه لينه وشديده فوجدنا يكفى منه أدناه .

عن يسار بن نمير قال : مانخلت لعمر طعاما قط إلا وأنا له عاص .

ابن طاوس عن أبيه قال : أجدب الناس عهد عمر فما أكل سمينا ولا سمنا حتى أكل الناس .

الحسن قال : قال عمر بن الخطاب : لا تنخلوا الدقيق فإنه طعام كله .

أنس بن مالك قال : لقد رأيت بين كتفى عمر أربع رقاع فى قميصه .

عن عامل لعمر كان على أذرعات قال : قدم علينا عمر بن الخطاب وإذا عليه قميص من كرابيس فأعطانيه فقال : اغسله وارقعه ، قال فغسلته ورقعته ثم قطعت عليه قميصًا فأتيته بهما فقلت : هذا قميصك وهذا قميص قطعته عليه لتلبسه . فمسه فوجده لينا فقال : لا حاجة لنا فيه هذا أنشف للعرق منه .

مالك بن دينار عن الحسن أن عمر بن الخطاب كان فى إزاره اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم .

هشام بن عروة عن ابيه قال : قال عمر بن الخطاب فى خطبته : تعلمون أن الطمع فقر ، وأن الأياس غنى ، وأنه من أيس مما عند الناس استغنى عنهم .

شداد بن الهاد قال : رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة ، وريطة كوفية ممشقة ضرب اللحم يعنى خفيف اللحم طويل اللحية حسن الوجه .

متناثرات

روى ابن المبارك بسنده عن : أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبد خيرًا : استعمله ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يستعمله ؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته .

حسان بن عطية قال – قال الله : لا ينجو مني عبدى إلا بأداء ما افترضه عليه ، وما يبرح عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، وما تقرب إلى بشيء أفضل من النصيحة ، فإذا فعل ذلك كنت قلبه الذى يعقل به ، ولسانه الذى ينطق به ، وبصره الذى يبصر به ، أجبته إذا دعانى ، وأعطيته إذا سألنى ، وأغفر له إذا استغفرنى .

عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها .

الحسن قال : لايزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه .

مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إلى من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا .

ابن هبير ، أن الأواب الحفيظ الذى إذا ذكر خطاياه استغفر الله عنها .

مجاهد عن عبيد بن عمير قال : الأواب الحفيظ الذى يذكر الذنب فيتوب منه .

عمرو بن ميمونة الأودى قال – قال النبى ﷺ لرجل وهو يعظه :

اغتنم خمسًا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك .

أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : إن الله لا يظلم حسنته يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة .

ابن عمر أنه كان يتسوك حين يريد النوم وبكرة وحين يصبح .

معقل بن يسار قال : كان أول ما عرفت عامر بن عبد العنبرى إنى رأيته فوصف لى قريبا من رحبة بنى سليم وهو على دابة ورجل من أهل الذمة يظلم ، فنهى عنه ، فلما قال كذبتم ، والله لا تظلم ذمة الله اليوم وأنا شاهد ، وقال : فتخلصه ، فلما كان بعد ذلك أتيته فى منزله ، وكان الناس يقولون إن عامر لا يأكل السمن ولا يأكل اللحم ولا يتزوج النساء ، ولا تمس بشرته بشرة أحد ، ويقول إنى مثل إبراهيم ، فلما دخلت عليه أخرج يده من تحت برنس حتى أخذ بيدى ، فقلت هذه واحدة ، فلما تحدثنا قلت إن الناس يقولون إنك لا تأكل اللحم ولا تأكل السمن ، ولا تزوج النساء ، وتقول إنى مثل إبراهيم ، قال : أما قولهم إنى لا آكل اللحم ، فإن هؤلاء ، قد صنعوا فى الذبائح شيئًا لا أدرى ما هو ؟ فإذا اشتهيت اللحم أمرنا بشاة فاشتريت لنا فذبحناها وأكلنا من لحمها ، وأما قولهم إنى لا آكل السمن ، فإنى لا آكل من ههنا وآكل ما يجىء ههنا ، وأما قولهم إنى لا أتزوج النساء فإنما هى نفس واحدة لقد كادت أن تغلبنى ، وأما قولهم : إنى مثل إبراهيم ، فإنى قلت : إنى لأرجو أن يجعلنى الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

سليمان بن حميد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عبد الملك بن

عمر يعنى ابنه إنه ليس أحد من الناس رشده وصلاحه أحب إلى من رشدك وصلاحك إلا أن يكون والى عصابة من المسلمين ، أو من أهل العهد يكون لهم فى صلاحه مالا يكون لهم فى غيره ، أو يكون عليهم من فساده ، مالا يكون عليهم من غيره .

سليمان التيمى قال سمعت أنسًا يقول : كنت قائمًا على الحى أسقيهم عمومتى وأنا أصغرهم – فقيل : حرمت الخمر ، فقال : اكفأها فكفأناها قلت لأنس : ما شرابهم ؟ قال : رطب وبسر .

ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ .

عائشة عن النبى ﷺ قال : لا وفاء بنذر من معصية الله ، وكفارته كفارة يمين .

محمد بن زياد عن أبى عزبه الخولانى ، أنه كان فى مجلس خولان فى المسجد جالسًا فخرج عبد الله بن عبد الملك هاربًا من الطاعون فسأل عنه فقالوا : خرج يتزحزح هاربًا من الطاعون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ماكنت أرى أنى أبقى حتى أسمع بمثل هذا ، أفلا أخبركم عن خلال كان عليها إخوانكم ؟ أولها لقاء الله كان أحب إليهم من الشهد ، والثانية لم يكونوا يخافون عددًا قلوا أو كثروا ، والثالثة لم يكونوا يخافون عوزًا من الدنيا ، كانوا واثقين بالله أن يرزقهم ، والرابعة إن نزل بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضى الله فيهم ما قضى .

سالم عن أبيه قال : أكثر ما رأيت النبى ﷺ يحلف بهذا اليمين . لا ومقلب القلوب .

سالم بن أبي الجعد قال : سأل رجل ابن عباس عن رجل قتل مؤمنا متعمدًا ثم تاب وآمن وعمل صالحًا ، ثم اهتدى ، قال : وأنى له الهدى ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجيء المقتول يوم القيامة متعلقًا بالقاتل تشخب أو داجه دما فيقول : يارب سل هذا لم قتلني ؟

سعيد بن المسيب قال : من جلس في المسجد – وقال ابن حيوية : من جلس في المجلس – فإنما يجالس ربه قال محمد بن مسلمة فما حقه أن يقول إلا خيرًا .

مكحول قال – قال رسول الله ﷺ : من أخلص لله العبادة أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

عائشة رضي الله عنها قالت – قال : رسول الله ﷺ : إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل ، فكانت عائشة إذا عملت عملا داومت عليه .

حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عمر بن الخطاب قال : خذوا بحظكم عن العزلة .

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: كان يخطب يوم الجمعة ويسند ظهره إلى خشبة ، فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبرًا ، فبنوا له منبرًا إنما كان عتبتين ، فتحول من الخشبة إلى المنبر فحنت والله الخشبة حنين الوله ، فقال أنس : أنا والله في المسجد أسمع ذلك ، والله ما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ من المنبر ومشى إليها فاحتضنها فسكتت ، فبكى الحسن وقال : يامعشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إليه ، أفليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق أن يشتاقوا إليه ؟ !

رفاعة الجهنى – واللفظ لابن المبارك – قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد جعل رجلا منا يستأذنون إلى أهليهم فيأذن لهم ، وحمد الله ، وقال ابن صاعد فى المرة الثانية وأثنى عليه – وقال خيرًا وقال أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه ثم سدد ، إلا سلك به فى الجنة ، وقد وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفًا لاحساب عليهم ولاعذاب ، وإنى لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن فى الجنة ، وقال : إذا مضى نصف الليل ، أوقال ثلث الليل ينزل إلى السماء والدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادى غيرى ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه حتى ينفجر الصبح .

أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : من بات طاهرًا بأن فى شعاره ملك لا يستيقظ ساعة من الليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان ، فإنه بات طاهرًا .

الزهرى قال : قال لى عبد الملك بن مروان عن الحديث الذى جاء النبى ﷺ من مات لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق قال فقلت له : أين يذهب لك يا أمير المؤمنين هذا قبل الأمر والنهى وقبل الفرائض .

عن نافع سمعت ابن عمر سمعت النبى ﷺ يقول : كل مسكر حرام .

الزهرى قال : بلغنا أنه أتى النبى ﷺ ملك لم يأته قبلها ، ومعه

جبرائيل صامت : إن ربك يخيرك بين أن تكون نبيًا ملكًا ، أو نبيًا عبدًا ، فنظر إلى جبرائيل كالمستأذن فأشار إليه أن تواضع فقال رسول الله بل نبيًا عبدًا ، فقال الزهرى : فزعموا أن النبى ﷺ لم يأكل منذ قالها متكئًا حتى فارق الدنيا ، قال ابن صاعد : وقد روى هذا الحديث الزبيدى عن الزهرى .

صلة بن أشيم العدوى قال : خرجت فى بعض قرى نهر نيرى أسير على دابتى فى زمان فيوض الماء ، فأنا اسير على سناة ، فسرت يومى لا أجد شيئًا آكله ، واشتد على ، فلقينى علج يحمل على عنقه شيئًا ، فقلت ضعه ، فوضعه فإذا هو جبن ، فقلت أطعمنى منه ، فقال نعم إن شئت ولكن فيه شحم خنزير ، فلما قال ذلك تركته ومضيت ، ثم لقيت آخر يحمل على عنقه طعامًا فقلت له أطعمنى ، فقال هذا تزودت هذا كذا وكذا من يوم ، فإن أخذت منه شيئًا أضررت بى ، وأضعتنى فتركته ثم مضيت ، فوالله إنى لأسير إذ سمعت خلفى وجبه كخوايه الطير يعنى صوت طيرانه ، فالتفت فإذا شىء ملفوف فى سب أبيض أى خمار ، فنزلت فإذا دوخله من رطب فى زمان ليس فى الأرض رطبة ، فأكلت منه ، فلم آكل رطبًا قط أطيب منه . وشربت من الماء ثم نفقت ما بقى وركبت الفرس ، وحملت تواهن معى فحدثنى عوف بن دلهم قال : فرأيت ذلك السب مع امرأته ملفوفًا فيه مصحفها ثم فقد بعده ، فلا يدرون سرق أم ذهب ، أم ماصنع به .

عن المقداد بن معد يكرب قال – سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم أكل يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه » .

الفصل الخامس

من حكمه ومواعظه وتوجيهاته

إن لابن المبارك من الحكم والمواعظ والتوجيهات الكثير ، اقتصرنا منها على قدر يسير ، وذلك أن المجال المستفيض لدراسة هذه النواحى عند ابن المبارك إنما هو فى روايته المستفيضة للأحاديث وهو لم يقتصر فى هذه الرويات على أحاديث رسول الله ﷺ وإنما روى الكثير من حكم الحسن البصرى وغير الحسن البصرى من أفاضل الأمة الإسلامية ، ورواياته هذه إنما هى مختارات ، ولقد سئل مرة : هل تشتغل بحفظ الآثار فقال : إننى لا أشغل نفسى بحفظ شىء ، وإنما أنظر فى الكتب فما استحسنته نقش فى صدرى .

إن رواياته إنما هى اختيار له ، واختيار المرء قطعة من عقله ، ومن شعوره ووجدانه ، إنما طابعه وخلقه – ولقد استفضنا فى الرواية عنه فى مجال الآثار ، وفى ذلك غناء عن الاستفاضة وفى إيراد حكمه ومواعظه ، وها هى ذى بعض حكمه ومواعظه وتوجيهاته :

عن ابن المبارك أنه سأله رجل عن الرباط فقال : رابط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق ،فذلك أفضل الرباط .

وكان يقول: كيف يدعى رجل أنه أكثر علمًا وهو أقل خوفًا وزهدًا.

وكان يقول : من ختم نهاره بذكر ، كتب نهاره ذاكرًا ، وكان يتحرى هذا العمل .

وكان يقول : رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تعظمه النية .

وكان رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين من كلامه :

وهل بدل الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

لقد رتع القوم فى جيفة   يبين لذى العلم إنتانها

وكان رضى الله عنه يقول : مسكين ابن آدم قد وكل به خمسة أملاك : ملكان بالليل ، وملكان بالنهار ، يجيئان ويذهبان والخامس لا يفارقه ليلا ولا نهارًا ، وكان إذا اشتهى شيئًا لا يأكله إلا مع ضيف .

وكان ينشد إذا ودع شخصًا :

وهون وجدى أن فرقة بيننا   فراق حياة لا فراق ممات

وسئل عبد الله : ما ينبغى أن يجعل عظمة شكرنا له ؟ قال زيادة آخرتكم ونقصان دنياكم ، وذلك أن زيادة آخرتكم لا تكون إلا بنقصان دنياكم وزيادة دنياكم لا تكون إلا بنقصان آخرتكم .

وعن عبد الله بن المبارك قال : حب الدنيا فى القلب والذنوب احوشته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ .

قال ابن المبارك : إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند نفسه أذل من الكلب .

وكان يقول : كن محبًا للخمول كارهًا للشهرة ولا تحب من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك .

وقال عبد الله بن المبارك : ودعنى ابن جريج فقال :استودعك الله إن كنت لمأمونًا .

قال : وودعنى ابن عوف فقال : إن استطعت أن تكون مهتارًا بذكر الله فكن .

قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلين اصطحبا فى الطريق ، فأراد أحدهما أن يصلى ركعتين ، فتركهما لأجل صاحبه ، كان ذلك رياء ، وإن صلاهما من صاحبه فهو شرك .

عن ابن وهب قال : رأى رجل سهيل بن على فى المنام فقال : ما فعل بك ربك ؟ قال : نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك ، قلت له : ما تلك الكلمة ؟ ، قال : قول الرجل يارب عفوك عفوك .

عن عبدالله بن المبارك ، عن أبى بكر بن عياش قال : اجتمع أربع ملوك ملك فارس ؛ وملك الروم ، وملك الهند ، وملك الصين ، فتكلموا بأربع كلمات كأنما رمى بهن عن قوس واحدة ، فقال أحدهم : أنا على قول ما لم أقدر منى على رد ما قلت ، وقال الآخر إذا قلتها ملكتنى ، وإذا لم أقدر ملكتها . وقال الآخر : لا أندم على ما لم أقل ، وقد أندم على ما قلت ، وقال الآخر عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن رفعت عليه ضرته وإن لم ترفع عليه لم تنفعه .

عن عبدالله بن المبارك عمن أخبره قال : قدم وفد من وفود العرب على معاوية فقال لهم :ما تعدون المروءة فيكم ؟ :

قالوا : العفاف فى الدين ، والإصلاح فى المعيشة .

فقال معاوية : أسمع يا يزيد .

قال رجل لابن المبارك : بقى من ينصح ؟ قال فهل بقى من يقبل ؟ .

وكان يقول : كاد الأدب أن يكون ثلثى الدين .

وقيل له إن جماعة من أهل العلم يأخذون من الناس الزكوات .

فقال : فما نصنع . إن منعناهم وقفوا عن طلب العلم ، وإن رخصنا لهم حصلوا العلم وتحصيل العلم أفضل .

وكان يقول : لأن أرد درهما من شبهة أحب إلى من أن أتصدق بستمائة ألف ألف .

وقيل له : ما التواضع ؟قال التكبر على الأغنياء .

وذكر لعبدالله ما كان عليه يوسف بن أسباط من العبادة ، فقال : لقد ذكرتم قوما يستشفى بذكرهم ، ولكن إن فعل الناس جميعهم ذلك ، فمن لسنن رسول الله ﷺ .

وعن الوليد بن عقبة قال :قال عبدالله بن المبارك طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون .

عن أبى أمية الأسود قال : سمعت عبدالله بن المبارك يقول : أحب الصالحين ولست منهم ، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم .

ثم أنشد عبد الله يقول :

الصمت أزن بالفتى	من منطق فى غير حينه
والصدق أجمل بالفتى	فى القول عندى من يمينه
وعلى الفتى بوقاره	سمة تلوح عى جبينه
فمن الذى يخفى عليك	إذا نظرت إلى قرينه
رب امرئ متيقن	غلب الشقاء على يقينه
فأزاله عن رأيه	فابتاع دنياه بدينه

قام رجل إلى ابن المبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن فى أى شىء أجعل فضل يومى ، فى تعلم القرآن ، أو فى طلب العلم ؟ فقال : هل

تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك ؟ قال :نعم ، قال : فاجعله فى طلب العلم الذى يعرف القرآن .

عن الحسين بن الحسن المروزى ، قال سمعت ابن المبارك يقول : أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها ، قيل له : وما أطيب ما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عز وجل .

حدثنا أبو بكر الصوفى عن بعضهم قال : ورد على أمير المؤمنين الرشيد كتاب صاحب الخيرة من هيت أنه مات رجل بهذا الموضع غريب ، فاجتمع الناس على جنازته ، فسألت عنه فقالوا : عبد الله بن المبارك الخراسانى ، فقال الرشيد : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فضل — للفضل بن الربيع وزيره — ائذن فى الناس من يعذرنا فى عبد الله ابن المبارك ، فأظهر الفضل تعجبا ، فقال : ويحك ! إن عبدالله هو الذى يقول :

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم يأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبا لأقوانا

من سمع هذا القول من مثل ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه فى صدور العامة ، ولا يعرف حقنا .

عن عبد الرحمن بن عبيد الله يقول : كنا عند الفضل بن عياض فجاء فتى — فى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين — فنعى إليه ابن المبارك ، فقال : رحمه الله ، أما إنه ما خلف بعده مثله .

وكان رضى الله عنه يقول : ما بقى فى زماننا أحد أعرف أنه يأخذ النصيحة بانشراح قلب وقيل له : كيف تعلم الملائكة أن الإنسان قد هم بحسنة ؟ فقال رضى الله عنه : يجدون ريحها .

وكان رضى الله عنه يقول : أربع كلمات انتخبن من أربعة آلاف حديث لا تثقن بامرأة ، ولا تغترن بمال ، ولا تحمل مصرتك ما لا تطيق وتعلم من العلم ما ينفعك فقط .

وعن سعيد بن داود يقول سألت ابن المبارك : من الناس ؟ قال العماء ، قلت فمن الملوك ؟ قال الزهاد ، قلت : فمن السفلة ؟ قال الذين يعيشون بدينهم .

المراجع

كتاب الزهد والرقائق – لابن المبارك – تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمى

كتاب الجهاد – تحقيق الأستاذ نزيه حماد

عبدالله المبارك – تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب

عبدالله المبارك – تأليف فضيلة الشيخ أبو الوفا المرغى

حلية الأولياء – لأبي نعيم

صفة الصفوة – لابن الجوزى

تاريخ بغداد – للخطيب البغدادى

الكواكب الدرية – للامام المناوى

وفيات الأعيان – لابن خلكان

الطبقات الكبرى – للشعرانى

الفهرست

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع	١٩٩٥/٤٨٩٧
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4973-4

١/٩٣/٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



جاء رجل فسأل سفيان الثورى عن مسألة ..
فقال له : من أين أنت ؟ فقال : من أهل المشرق .. قال : أو ليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ .. قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟ قال : عبد الله بن المبارك .. قال : أهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم .. وأهل المغرب .



